الشخصية القاعدية الجزائرية من خلال نماذج من الشعر الشعبي الجزائري في فترتي العهد العثماني وعهد الاحتلال الفرنسي

Algerian basic personality through models of popular poetry Algerian in the periods of the Ottoman era and the era of the French occupation

ياسين سعادة*

أستاذ محاضر(أ)، جامعة ابن خلدون ـ تيارت

Yacine Saada

Lecturer A, Ibn Khaldun University Tiaret

yacine.saada@univ-tiaret.dz

تاريخ الاستلام: 2023/08/12 تاريخ القبول: 2023/09/26 تاريخ النشر: 2023/12/07

الملخص: نهدف من وراء هذه الورقة البحثية الولوج إلى جوهر الثقافة الجزائرية خلال فترتي العهد العثماني وعهد الاحتلال الفرنسي من خلال منهج تحليل المحتوى والتيار الوثائقي فيه، وذلك باستخدام التحليل الشخصياتي الذي انصب على تتبّع مكوّنات الشخصية القاعدية للشعراء الشعبيين خلال العهد العثماني وعهد الاحتلال الفرنسي باحتساب الشعراء المخضرمين الذين عايشوا الفترتين المذكورتين وقد جمعنا في هذا الصدد ثلاثة وعشرون شاعرا شعبيا تحصّلنا من خلالهم على واحد وأربعين قصيدة شعبية، وذلك بهدف الوصول إلى الخصوصيات الوطنية التي تتطلّب البحث على العناصر المشتركة لشخصيات الشعراء باعتبار أنّ الجانب المشترك هو ثقافي في حين أنّ الاختلافات تبقى فردية وسيكولوجية، وهذا دون إغفال البحث التاريخي المتعلّق بالفترتين العثمانية وعهد الاحتلال الفرنسي الذي أحدث شرخا كبيرا في المجتمع الجزائري على كل الأصعدة من السياسي إلى الاجتماعي إلى الاقتصادي وصولا إلى الثقافي، ومحاولات المسخ الثقافي للإدارة الاستعمارية لا تخفى على المهتمين بالفترتين التاريخيتين اللتان اخترناهما في دراستنا هذه. وقد اعتمدنا في تحليلنا الشخصياتي على تحليل الترميز القَبْلِي المبني على الفئات الأربعة المكوّنة للشخصية القاعدية وهي: تقنيات التفكير، أنساق الأمن، الأنا الأعلى والسلوكات الدينية. وقد أظهرت نتائج الدراسة تحولات عميقة على مستوى تقنيات التفكير وتصور الحياة، واختلافات كبيرة على مستوى المرجعية الفكرية والتمثلات الرمزية على حسب تعبير جيلبار دوران، وهوما يثبت أنّ الصدام الحضاري الذي حدث مع الحملة الاستعمارية كانت له نتائج ظاهرة جلية جعلت الجزائري متعلّق بالأشخاص لا بالأفكار، وهوما له أكثر من دلالة على المستوى القاعدي الحضاري المتمثّل في الشخصية القاعدية الجزائرية.

الكلمات المفتاحية: الشخصية القاعدية، الشعر الشعبي الجزائري، التحليل الشخصياتي، السمات الثقافية.

Abstract: Through this research paper, we aim to access the essence of Algerian culture during the Ottoman era and the French occupation era through the content analysis approach and the documentary trend in it, using personal analysis that focused on tracing the components of the basic personality of popular poets during the Ottoman era and the French occupation era. Counting the veteran poets who lived through the two mentioned periods, and in this regard, we collected twenty-three popular poets, from whom we obtained forty-one popular poems. This is with

*- المؤلف المرسل

the aim of reaching national specificities that require research on the common elements of the poets' personalities, given that the common aspect is cultural while the differences remain individual and psychological, and this is without neglecting the historical research related to the Ottoman periods and the era of the French occupation, which created a major rift in Algerian society. At all levels, from political to social to economic to cultural, and the attempts at cultural distortion of the colonial administration are not hidden from those interested in the two historical periods that we chose in this study. In our personality analysis, we relied on a priori coding analysis based on the four categories that make up the basic personality, which are: thinking techniques, security patterns, superego, and religious behaviors. The results of the study showed profound transformations at the level of thinking techniques and perception of life, and major differences at the level of intellectual reference and symbolic representations, according to Gilbert Durand's expression, which proves that the civilizational clash that occurred with the colonial campaign had clear, visible results that made the Algerian It is related to people, not ideas, and it has more than one indication of the grassroots cultural level represented by the Algerian grassroots personality.

Keywords: grassroots personality, Algerian folk poetry, personality analysis, cultural traits.

- مقدّمة:

تعد الدراسات التي تربط بين مواضيع الأدب الشعبي والدراسات الثقافية والدراسات الأنثروبولوجية ذات الجذور النفسية التحليلية في الجزائر من أندر الدراسات المنتمية لحقل العلوم الإنسانية والاجتماعية. ذلك أنّها تربط بين اتجاهات نظرية متشعبة المناهل ومختلفة المناهج، وعادة ما تتطلب تظافر جهود عدد من المختصين في تخصصات مختلفة في عمل واحد، وهوما سوف نحاول تجاوزه بهذه الدراسة التي تطمح إلى ربط مفاهيم نفسية تحليلية، أنثروبولوجية، سوسيولوجية وتاريخية بالإضافة إلى المفاهيم المتعلقة بالشعر الشعبي وعلم الاجتماع الأدبي. حيث سنتناول في هذا المقال مفهوم "الشخصية القاعدية الجزائرية" ونبحث في مكوناتها لدى الشعراء الشعبيين الجزائريين، في محاولة للوصول إلى الخصوصيات الوطنية من خلال تحليل مختلف شخصيات الشعراء الشعبيين الذين عاشوا وعايشوا الفترة العثمانية من تاريخ الجزائر وفترة الاحتلال الفرنسي للجزائر. ولقد ارتكز التحليل هنا على العوامل الأربعة الرئيسية المكوّنة للشخصية القاعدية وهي: تقنيات التفكير، أنساق الأمن، الأنا الأعلى والسلوكات الدينية كما نصّ على ذلك المشتغلون بمفهوم الشخصية القاعدية.

1-الإشكالية:

ينطلق مفهوم الشخصية القاعدية من افتراض أنّه في كل شخصية فعلية لكل فرد، توجد إضافة إلى طفرات خصوصية فردية مجموعة من الخصوصيات المشتركة الناجمة عن الوسط الثقافي. هذا الوسط الذي نرغب عبر هذا التحليل الوصول إليه تبعا للفئات الثلاث الموجودة في عيّنة الدراسة: شعراء العهد العثماني، المخضرمون وشعراء عهد الاحتلال الفرنسي في محاولة منّا لاستخلاص التثاقف الذي حدث بعد الصدمة الاحتلالية الفرنسية بعد مقارنة التحليل الشخصياتي لشعراء العهد العثماني مع شعراء عهد الاحتلال الفرنسي، ليكون المخضرمون شاهدين على ذلك. ومن المعروف أنّ المجتمع الجزائري عرف صدمة حضارية وثقافية كبيرة نتيجة الاستعمار الفرنسي الذي فعل مشروعه الاقتصادي والاجتماعي بالإضافة طبعا الى العسكري الأفاعيل على الجزائري وثقافة الجزائري، وبالتالي كان سؤال الانطلاق الرئيسي: ما هي السمات الثقافية الرئيسية للشخصية القاعدية الجزائرية التي عبّر عنها الشعراء الشعبيون الجزائريون؟ وما هي أهم الاختلافات فيها بين شعراء العهد العثماني وشعراء عهد الاحتلال؟ وما دلالة هذه الاختلافات إن وجدت؟

وتبعا لهذه التساؤلات وضعنا الفرضيات التالية:

2- الفرضيات:

الفرضية الأولى: الشعراء الشعبيون الذين عاشوا الفترة الاستعمارية أكثر تمسّكا وحرصا على الانتماء الاجتماعي (الجغرافي أو القبلي) من شعراء العهد العثماني.

الشرح: لقد كان للاستعمار الفرنسي في الجزائر وطأة ثقيلة على المجتمع الجزائري بمختلف فئاته. فلقد تحوّلت المعالم الاجتماعية، والاقتصادية للجزائري، وأصبح يرى بأمّ عينيه مخلّفات السياسات الاستعمارية، والقوانين الجائرة في حق الجزائريين بمختلف شرائحهم وانتماءاتهم، خاصة مع مصادرة الممتلكات العامة ابتداء من الوقف ووصولا إلى الأراضي العرشية التي يسكن فيها أغلب الجزائريين. وقد نتج عن هذه السياسات والقوانين ترحيل واسع للسكان، وتثبيت للقوى الاجتماعية والاقتصادية، وهذا ما زاد من قيمة الأهل، والعشيرة، والوطن، والمنطقة كذلك لدى أغلب الناس. وبالتالي حدث ما يشبه حركة التحلزن أو التقوقع على الذات التي يقوم بها من يتلقّى لكمة أو ضربة. وهوما جعل الجزائريين على العموم، والشعراء الشعبيين على وجه أخص الذين عاشوا هذه الفترة الاستعمارية أكثر تشبّتاً من غيرهم بالانتماء الاجتماعي سواء تعلّق الأمر بالانتماء القبلي، أو العشيري، أو الانتماء الجغرافي إلى منطقة من المناطق المختلفة للجزائر.

الفرضية الثانية: الشعراء الشعبيون الذين عاشوا الفترة الاستعمارية أكثر حرصا على المسألة الدينية والانتماء الطرقي-الصوفي من شعراء العهد العثماني.

الشرح: على نفس منوال الفرضية الأولى، جاءت هذه الفرضية لتتحدّث عن الشطر الثاني من حركة التقوقع على الذات نتيجة الصدمة الاستعمارية ألا وهو شطر الانتماء الرمزي. وتعلّق الأمر هنا طبعا بالانتماء الديني. ولمّا كان هذا الجانب تسيطر عليه الطرق الصوفية، فكان من المنطقي أنّ الانتماء الرمزي الذي تشبّث فيه الجزائري ليتميّز عن الفرنسي المغتصب هو انتماء إلى إحدى الطرق الصوفية المنتشرة في ربوع الجزائر آنذاك، ليكون هذا الانتماء انتماء اجتماعياً كذلك، لكنّه انتماء تابع للأوّل. فالقبلي يسبق الجغرافي، والجغرافي يسبق الديني الرمزي، خاصة مع تقلّص المعارف نتيجة التجهيل وهدم المؤسّسات الثقافية التقليدية. فالانتماء الديني هو انتماء اجتماعي من نوع خاص.

ومن خلال الفرضيتين تظهر دلالة تغيّر السمات الثقافية بين شعراء العهد العثماني وشعراء عهد الاحتلال، حيث أنّ هذا التغيّر هو تعبير عن التغيّر السياسي والاجتماعي والاقتصادي بين الجزائر العثمانية والجزائر المستعمرة فرنسيا، وهذا ما أدّى إلى تغيّر السمات العامة للشخصية القاعدية التي تعبّر علاقة جدلية بين السمات السيكولوجية والمناخ السوسيوثقافي العام. ونهدف من خلال هذه الورقة البحثية أن نثبت زيف الأطروحات الكولونيالية التي تدّعي أن الحركة الإمبريالية والاستعمارية هي حركة تنوير حضاري، وما تمسّك شعراء العهد الاستعماري برجل الدين في مقابل تمسّك شعراء العهد العثماني بالفكرة الدينية إلّا دليل على زيف ادعاءات الطرح الكولونيالي.

3- أهداف الدراسة: تهدف الدراسة إلى فهم تطورات تشكّل المجتمع الجزائري بين فترتين محوريتين من تاريخه عبر تحليل التغيّرات البنيوية في ذهنيات الشعراء الشعبيين الذين كانوا بمثابة نخبة المجتمع على العهد العثماني وعهد الاحتلال الفرنسي، وذلك بتحليل البنى المشكّلة للشخصية القاعدية وباستخدام منهج تحليل المحتوى ذي الرمز القبلي.

4- أهمية الدراسة: تتمثل أهمية الدراسة في خصوصيتها أولاً، وفي إمكانية استعمالها دليلا للرد على سخافات المدرسة الكولونيالية الممجدة للوجود الاستعماري في الجزائر رغم الدمار الذي خلفته في الجماد والإنسان وفي كل المجالات. وما يهمنا هنا هو تغيّرات الشخصية القاعدية عبر تغيّرات مكوّناتها نتيجة التحولات التي فرضها الاستدمار الفرنسي.

5- الثقافة والشخصية: لقد كان تلاميذ فرانز بواس FRANZ BOAS، (مارغريت ميد Margaret Mead، روت بنديكت Ruth Benedict، أبرام كاردينر Abram Kardiner، رالف لنتون Ralph Linton) مصدر تيّار فكري أنثروبولوجي- سوسيولوجي سمّي تيار الثقافة والشخصية. وحسب هذا التيار إنّ الثقافة هي عملية تعلّم نماذج سلوكية نمطية يدمجها الفرد منذ طفولته. وتمكّنه هذه

النماذج من الاندماج في مجتمع معّين، ويمكننا كما يقول رالف لنتون في كتابه "الأسس الثقافية للشخصية" الذي صدر عام 1945، أن نوافق شخصية قاعدية لكل ثقافة. (sapir , 1967, p. 87)

هذا كان الحال مع هذه المدرسة الفكرية إلى غاية نهاية ستينيات القرن الماضي. وانطلاقا من السبعينيات حدثت مراجعة لمفهوم الثقافة في الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماعي الثقافي. فبالنسبة للثقافويين تمثّل الثقافة نوع من اللاشعور الاجتماعي، نسق من القيم والمعتقدات يسبح فيه الفرد منذ طفولته دون أن يدرك ذلك. وانطلاقا من سبعينيات القرن الماضي أتى تيار جديد يقوده كليفورد غريتز Clifford Greetz يركّز على النظرة الدينامكية والانعكاسية للثقافة. ومن هذا المنطلق فإنّ الثقافة ليست وسطا منسجما يسبح فيه الأفراد لا شعوريًا، وإنّما هي مجموعة من " الخطب" و"النصوص" تحدث فيها مجموعة كبيرة من التحوّلات وإعادة النظر (غيرتز، 2009، ص. 132).

دون الادّعاء أنّنا تجاوزنا هذا الجدل القائم حول مفهوم الثقافة والشخصية، سوف نحاول في هذا المقال أن نأخذ مفهوم الشخصية القاعدية كأداة للتحليل والمقارنة للوصول إلى بعض الخصوصيات الثقافية الوطنية من جهة، وأن نضع النصوص الشعرية في السياق الزماني- المكاني الخاص بها لاستقراء بعض التحوّلات وإعادات النظر الموجودة فيها.

6-مفهوم الشخصية: يعد مفهوم الشخصية من أهم المفاهيم التي يتطرق إليها الباحث في موضوع الثقافة، كونها المعبر الأساسي لدراسة الثقافة، وقد عبر عن هذه الفكرة الأنثروبولوجي الأمريكي الشهير ادوار سابير Edward Sapir بما يلي: " عندما ينهي عالم الانثروبولوجيا الثقافية أبحاثه الأولية الضرورية، والتي أوصلته إلى الأشكال المعلنة للثقافة، وعندما تعطي له هذه الأشكال الموضوعية المعلم بمنحه أسرارها، وترنيمتها الوقتية، وتوزيعها الجغرافي، عندئذ تبدأ أصعب مهامه وأهمها، ألا وهي تأويل الثقافة التي تحصل عليها بالتحليل حسب فهمه للشخصيات الحقيقية التي أخذ منها أصلا معلوماته " (sapir, p. 87) وكما أنّ الشخصية هي مفتاح الثقافة، فإنّ العكس صحيح أيضاً :"كلمّا أردنا فهم ثقافة ما، كلما اكتشفنا المظاهر الخاصة لتنظيم الشخصية" (sapir, p. 91) والشخصية من الناحية السوسيولوجية لديها صدى معنوي، فهو مجموعة السلوكات التي تعطي معنى للفرد في المجتمع، وتميّزه عن باقي أفراد الجماعة التي ينتمي إليها، والتي يشكل كل فرد فيها عبر مظاهر خاصة مجموعة من النماذج الثقافية، ويجب التنويه هنا أنّ المفهوم الذي يهمّنا في هذه الدراسة قد دخل من الباب الواسع للعلوم الإنسانية والاجتماعية، ولكن بمصطلح "الشخصية القاعدية "، هذه التسمية تعود لأبرام كاردينر الأنثروبولوجي والطبيب العقلي الأمريكي. في نظر كاردينر، لمّا نقارن بين أفراد مجتمع ما، فإنّنا نقبل أنّه عبر تنوّع الأدوار الذي يلعبها كل فرد داخل الجماعة فتمّة مظاهر مشتركة تجعل بالإمكان المقارنة بينهم، يعرّف كاردينر الشخصية القاعدية

على أنّها "مظهر بسيكولوجي مميز خاص بأفراد مجتمع معيّن، والذي يظهر بأسلوب حياة معين ينسج الأفراد حول متغيراتهم الفردية " (klineberg, 1968,p. 410)

يظهر من كلام كاردينر أنّه يعتقد أنّ في كل شخصية ملموسة لكل فرد إضافة الى المظاهر الفردية المميّزة له، والتي تجعل منه إنساناً فردًا توجد مجموعة من الخصائص المشتركة الناجمة عن الوسط الثقافي. ميزة هذا المفهوم ليست كونه يعبر عن تجريد بسيكولوجي متعلق بعلم النفس التفاضلي للشعوب، ولكن بالنسبة لكاردينر في فهمه وأخذه مفهوم الثقافة كوحدة شاملة وديناميكية، وفي تقديمه لكتاب ابرام كاردينر "الفرد داخل مجتمعه: محاولة في الأنثروبولوجيا التحليلية النفسية " عرّف رالف لنتون الشخصية القاعدية بقوله أنّها "تمثل كوكبة لخصوصيات الشخصية التي تظهر كعلاقة ولادية مع مجموع المؤسسات التي تشمل ثقافة ما" (عماد، 2008، ص.28).

تمثل الشخصية القاعدية إذا القاسم المشترك المكتسب من طرف أفراد المجتمع خلال عملية التنشئة الاجتماعية، وعلى هذا يبلور كل فرد شخصيته الخاصة، وبالتالي فإنّ تبلور الشخصية القاعدية مرتبط بعملية التنشئة الاجتماعية، وهذا ما جعل موضوع التنشئة الاجتماعية من أهم مواضيع الثقافوية والأنثروبولوجيا الثقافية.

7- تحليل بنية الشخصية القاعدية: يتناول لنتون تحليل بنية الشخصية، وذلك من خلال البحث عن معايير الشخصية التي ترتبط بالجماعات التي يتضّمن عليها المجتمع، فهولا يركز على معايير شخصية منفردة، وإنما يبحث في عناصر الشخصية التي يشارك فيها كل أعضاء المجتمع، وهذه العناصر تتنوّع وتتخصص تبعا لمواقف محددة يقرها المجتمع، فقد يشترك كل من الرجال والنساء في مجتمع ما في نفس المواقف. ولكن هذا السلوك المشترك يختلف بالنسبة لكل جنس، فالجنسين لا يعبران عن المواقف نفسها بنفس السلوكات، فالرجل مثلا يمكنه الكشف عن نصف ساقه وكتفيه أمام الغرباء في مجتمعاتنا الإسلامية المحافظة، لكن ذلك غير مقبول بالنسبة للمرأة لأنّه لا يعبّر عن الموقف المحافظ.

كما تظهر أهمّية المعايير في دراسة الأشكال الاجتماعية للاستجابات تبعا لنوعية الجماعات التي يتألف منها المجتمع، فنجد أنّ هذه الأشكال تختلف تبعًا لاختلاف المكانات والأدوار المنوطة بها (boudon et besnard,1999,p02)، ويميّز لنتون بين نوعين من المكانات: المكانة الممنوحة Statut attribué والتي لا دخل للإرادة الفردية فيها كأن أكون ذكراً مثلا أو حتى شابًا أو شيخًا، فالمكانة هنا ممنوحة بصورة طبيعية، أمّا النوع الثاني فهو المكانة المكتسبة Statut acquisوالتي تكون نتيجة المجهود الشخصي مثل كوني دكتور جامعي يكتب هذا المقال.

وقد حدّد رالف لنتون في مقدّمته لكتاب ابرام كاردينر "الحدود السيكولوجية للمجتمع " إنّ أساس الشخصية تتضمّن عناصر مختلفة، وتعتمد هذه الصيغة على المبادئ التالية (mead,1979,p p. 30-31):

1- تؤثر الخبرات الفردية المبتكرة تأثيرا قويًّا في الشخصية.

2-ينتج عن الخبرات المتشابهة صيغًا شخصية متشابهة لدى الأفراد الذين يخضعون لهذه الخبرات.

3-تتشابه الأنماط الثقافية التي يستخدمها أعضاء المجتمع في تربية الأطفال، رغم عدم وجود أي تماثل في الأسر المختلفة في المجتمع.

4-تختلف الأنماط الثقافية في تربية الأطفال من مجتمع الى آخر. ويترتب على هذه المبادئ:

4-1-إنّ كل أعضاء مجتمع لديهم عناصر كثيرة من الخبرات المبكرة الشائعة.

4-2-تختلف خبرات الأفراد المبكرة من مجتمع إلى آخر، أيضًا تختلف معايير الشخصية باختلاف المجتمعات.

وفي ضوء كل هذا، يكون الطابع الأساسي لشخصية أي مجتمع هي الصيغة الشخصية التي يشترك فيها معظم أعضاء المجتمع نتيجة للخبرات المبكرة التي اكتسبوها، وهذه الصيغة لا تناظر الشخصية الكلية للفرد، ولكن الصيغة الشخصية إنّما هي انعكاسات الصيغة الثقافية العامة للنسق الثقافي للمجتمع.

وتبعا لكل ما سبق يبقى الجانب المنهجي الذي يجب أن يعطي هذه الخصوصيات حقّها، وبالتالي وجب البحث والتحليل في بنية الشخصيات، لكن وجب التركيز على المتشابهات في حالتنا، لأنهاّ الكفيلة بإعطائنا إجابات وافية عن النماذج الثقافية في الجزائر بين العهد العثماني، وفترة الاستعمار الفرنسي، وعن منحى التثاقف الحاصل ووجهة التغيّر الاجتماعي. كل هذا بتحليل شخصيات الشعراء الشعبيين تبعا للعناصر الأساسية المشكلة للشخصية القاعدية، والتي هي أربعة (megherbi,1986, p. 60):

- تقنيات التفكير: أي الطريقة التي يفكر بها الأفراد في واقعهم، والتي يسيرون ويعملون على أساسها.

- انساق الأمن: وتتعلق بأساليب الدفاع المؤسسة، والتي يعود إليها الفرد في محاولته مقاومة الهموم، والمشاكل والاضطرابات الناجمة عن حرمان الواقع المادي والاجتماعي.

- الأنا الأعلى، ولا يجب هنا أن يقتصر المعنى على مفهوم الأنا الأعلى في التحليل النفسي الكلاسيكي (يتعلق الأمر هنا خاصة في الرغبة على الحصول على تقدير وصداقة الآخرين).

- السلوكات الدينية. السلوكات النابعة من معتقدات مقدّسة.

8- العناصر المكوّنة للشخصية القاعدية: تتكوّن الشخصية القاعدية أو الأساسية من أربع مكوّنات رئيسية كما ذكرنا آنفا، وقد وضعنا لها المفاهيم الإجرائية التالية:

8- 1- تقنيات التفكير: تتمثّل تقنيات التفكير هذه في الطريقة التي يفكّر بها أفراد المجتمع حول واقعهم، أي التفسيرات التي يعطيها الفرد للنجاحات والإخفاقات المتكرّرة، ومفهومه للحياة، ودوره فيها، ورأيه في أحواله الاجتماعية ومجتمعه، والسيرورة التاريخية. أو باختصار شديد تقنيات التفكير هي إمّا الرؤية الموضوعية وبالتالي العقلانية، أو الرؤية الذاتية وبالتالي العاطفية للذات والمجتمع، وبصفة عامة المحيط الفيزيقي والمعنوي، الذي يحيط بالشاعر.

8- 2- أنساق الأمن: أنساق الأمن هي ما يرجع إليه أفراد المجتمع لمقاومة القلاقل والاضطرابات التي تنتج عن الواقع المادي والاجتماعي المحيط بالفرد. أي التفسيرات التلقائية التي يعطيها أفراد المجتمع حينما يكونون في وضعية غير مريحة نتيجة تعامل غير متكافئ مع الأحداث التاريخية السارية، أو الواقع الزائد في التعقّد بالمقارنة مع القدرات الفكرية للأشخاص.

8- 3- الأنا الأعلى: يتعلّق الأمر هنا – خلافا لما هو مألوف في التحليل النفسي الكلاسيكي- بالرغبة في كسب اعتراف وموّدة الآخرين، وكذلك الأمور أو الأشياء التي يفتخر بها الشخص أكثر أمام أعضاء المجتمع الذي ينتمي إليه، وهي تتعلّق إمّا بشخصه أو بأهله ونسبه، أو بأوصافه وأفعاله. والأمور التي يفتخر بها أكثر أي شخص داخل مجتمع هي دائما الأمور المحمودة في المجتمع، والتي تتمتّع بسمعة طيّبة، أو بعبارة أخرى هي الأمور التي تبرزها ثقافة أي مجتمع.

8- 4- السلوكات الدينية: لعلّنا نكون في وضعية المكرّر للأقوال، حيث سبق وأن تحدّثنا عن أفكار وسلوكات دينية خاصة فيما يخص رؤية الحياة، وتفسير الإخفاقات والتوفيقات، وكذلك أنساق الأمن، ولكن لا مناص من التحدّث عن السلوكات الدينية، وسوف نحاول قدر الإمكان تجنّب التكرارات.

إنّ خاصية هذه النقطة، هي التحدّث عن السلوكات، سلوكات الشعراء. لكن المشكلة التي اعترضنا هي أنّ الشعراء لم يقدّموا لنا سلوكات، بل قدّموا لنا أشعارًا تحمل مواقف وأفكار دينية، وقلّ ما حدّثتنا عن سلوكات دينية، لكن رغم هذا قمنا باستخراج بعض المواقف التي تتحدّث بصور مختلفة عن السلوكات الدينية، بل وحتى بعض الفقرات التي تصف هذه السلوكات.

9- منهج البحث: يتمثّل منهج الدراسة أساسا في منهج تحليل المحتوى ذي الرمز القبلي المعتمد في حالتنا على مكوّنات الشخصية القاعدية، كما اعتمدنا على المنهج التاريخي الذي يجعل الصيرورة التاريخية عنصرا مهما في التحليل.

10- حدود الدراسة: مثلما هو موضّح في عنوان المقال فالدراسة تقترح دراسة شخصيات الشعراء الشعبيين الذين عاشوا خلال العهد العثماني وخلال عهد الاحتلال الفرنسي وبأكثر تحديد من 1495 سنة ميلاد الأخضر بن خلوف أقدم شاعر شعبي في المغرب العربي إلى سنة 1964 سنة وفاة عبد القادر الخالدي أحدث شعراء العينة زمنيا.

11-عيّنة الدراسة وطريقة المعاينة: لقد قمنا في هذا البحث باختيار عدد من الشعراء الشعبيين الذين عاشوا في الفترتين المخصّصتين للدراسة (الفترة العثمانية، وفترة الاحتلال الفرنسي)، وقد تمّ الاختيار بطريقة مسحية أي حاولنا جمع كل الشعراء الذين استطعنا العثور على قصائد منسوبة لهم (هناك بعض الشعراء الذين ذكرهم بعض المؤرّخين مثل أحمد بن بلقاسم السجراري، ولكنّنا لم نعثر على إنتاجاتهم، كما يوجد شعراء نشك في نسبة القصائد التي وصلت إلينا لهم مثل محمد بن سهلة التي نشك في نسبة بعض القصائد له أو لإبنه بومدين) وهوما ينفي على البحث صفة الدراسة المسحية. كما قمنا ببعض الاختيارات في طريقة المعاينة:

11-1- الاختيار التاريخي، وكان كالتالي:

1-1-5 ثمانية شعراء من العهد العثماني: الأخضر بن خلوف، سعيد بن عبد الله المنداسي، أحمد بن تريكي، محمد بن مسايب، علي كورة، قادة بن السويكت، العربي بن حمادي وبومدين بن سهلة.

2-1-5- خمس عشرة شاعرا من الفترة الاحتلالية مقسّمين إلى:

- ✓ سبعة شعراء مخضرمون: مصطفى بن براهيم، محمد بن الشاهد، مصطفى الكبابطي، الطاهر بن حواء، محمد بلخير، محمد بن إسماعيل، عبد القادر الوهراني.
- ✓ ثمانية شعراء من العهد الاحتلالي: محمد بن قيطون، قدور بن عاشور، قويدر بن اسماعيل، أحمد السماتي، عبد الله بن كريو، عبد القادر بطبجي، أحمد العلاوي، عبد القادر الخالدي.

11-2- الاختيار المجالي، وكان كالتالي:

- خمسة شعراء من العاصمة (محمد بن الشاهد، مصطفى الكبابطي، محمد بن إسماعيل، عبد القادر الوهراني، قويدر بن إسماعيل)، ومثلهم من تلمسان (سعيد المنداسي، احمد بن تريكي، محمد بن مسايب، بومدين بن سهلة، قدور بن عاشور).
- ثلاث شعراء من مستغانم (الأخضر بن خلوف، عبد القادر بطبجي، أحمد العلاوي)، وثلاثة من منطقة الظهرة (الشلف/ غليزان) (علي كورة، قادة بن السويكت، العربي بن حمادي).
- شاعران من معسكر (الطاهر بن حوى، عبد القادر الخالدي)، وآخران من بسكرة (أحمد السماتي، محمد بن قيطون).

- شاعر واحد في كل من سيدي بلعباس (مصطفى بن براهيم)، البيّض (محمد بلخير) والأغواط (عبد الله بن كريو).

3-11- اختيار مادة التحليل (اختيار القصائد الشعبية):

- قصة مزغران، لله توب يا بنادم (بن خلوف)
- كيفاش نعمل يا ربي، الفرقة مرة يا سيادي (المنداسي)
- يا لحباب مالكم عليا غضاب، شاب راسي يا ربي من فراق لحباب (بن تريكي)
- هاجت بالفكر أشواقي، ما بقى فيها باش تعاند المدن (بن مسايب)
- حوّست نواجع المْحال (علي كورة)
- غابوا زنجار الحاسدين، لا من جاب اخبار سويد (قادة بن سويكت)
- أمن جاب المختار في المنام (العربي بن حمادي)
- يوم الخميس واش اداني، كيف أعمالي وحيلتي (بومدين بن سهلة)
- لقيت أنايا خوذات، ما أطول ذا الليل (مصطفى بن براهيم)
- غاب فلك الأحباب (محمد بن الشاهد)
- من يبات يراعي لحباب (مصطفى الكبابطي)
- يا من درى آش سلطني مبارك، يا محمد ليك يهرب (الطاهر بن حواء)
- سلاك المغبون، يا السايل لا تلغالي (محمد بلخير)
- يا إلاهي ألطف يا ذا الكريم بيا، بسم الله نبدا الحلة للعاشقين (محمد بن إسماعيل)
- مرثية الجزائر، سبحان الله من طبايع ولد الإنسان (عبد القادر الوهراني)
- حيزية، يا الأزرق يحميك في ظني (بن قيطون)
- طال ضرّي، أنا دخيل ورد خدّك (قدور بن عاشور)
- ذي سبّة الجزاير، خذ رايي يا ولدي لا تخالط لرذال (قويدر بن اسماعيل)
- يا قمري حيرتني (أحمد السماتي).
- جيت نوسّع خاطري، قمر الليل (عبد الله بن كريو).
- خذ أراسي نحدثك، صلوا على النبي يا حضرة (عبد القادر بطبجي).
- يا من لم تفهم مقالي، محمد اصطفاك الباري (أحمد العلاوي)
- يا طويل الرقبة، غرام يمينة (عبد القادر الخالدي)

هذا عن عيّنة الدراسة، وفيما يلي التحليل المبني على العناصر الأربعة المكوّنة للشخصية القاعدية والذي أطلقنا عليه بالتحليل الشخصياتي، وقد قمنا باستخراج اهم الأفكار الموجودة في القصائد الشعبية والتي تعبّر بطريقة أو بأخرى عن العناصر المذكورة مع ذكر تفاصيل كلام الشعراء.

12- التحليل الشخصياتي:

12- 1- تقنيات التفكير:

12-1-1- الفترة الأولى: العهد العثماني: ما يمكن ملاحظته على شعراء العهد العثماني هو سيطرة الفكرة الدينية على طريقة تفكيرهم، ورؤيتهم للحياة. وهذه الفكرة موجودة في كل تحليلاتهم، فالأمر متعلق بالجنّة أو بالنار، بالنجاة والفوز بالجنّة أو الخسارة والذهاب إلى النار، وما الحياة الدنيا إلاّ مرحلة انتقالية وجب المرور بها والصبر على الصعوبات التي قد نواجهها فيها. وهذه بعض تفصيلات الكلام:

1. العاقل هو المتديّن، الباحث عن النجاة في المصير الأخروي لأنّ الحياة ماهي إلاّ مرحلة انتقالية، وهي فكرة متواترة عند الأخضر بن خلوف:

لله توب يا بنادم *** اتفكّر القبر، وعذابه يرجاك.

أعمل الزاد باش تسافر *** خذ الطريق، وأصغى ليّا.

مولى العقل يولّي بكري *** قبل ألا تجيه الحملة.

البحث ديما على دينك *** بالجهل ما تنال الغنى.

2. كل ما في الوجود قضاء وقدر، ويمكن الخروج منّه إلاّ بالرضا به، وهي فكرة موجودة عند الكثير من شعراء الفترة العثمانية:

سلّمت وارضيت بغلبي *** صابر بما قضى الرب الوهاب. (المنداسي)

حالتي لا حالة والقلب بالهوى طاب *** الصبر لله انودّي فيما كتب. (بن تريكي)

هكذا قدر ربنا الحكيم *** كيف أراد فعل بأحكامه وقدرته. (بن مسايب)

يا درى يا راسي سلطان جثتي **** واش كتب لي فيك دايم البقا. (بن حمادي)

1. لا يمكن إيجاد حلول للإخفاقات المتكرّرة (أو بالأحرى عدم البحث عنها) فما على صاحبها إلاّ الرضا أو الصبر.

كفاش نعمل يا ربي *** من فراق حبيبي صابغ لهذاب.

ما صبت من يعذر حالي *** زادت في حشايا دبلة. (المنداسي)

يا الأحباب مالكم عليّ غضاب *** دون أسباب ولا اعملت السبّة.

ربي كتب اعليّ بالوحش بلاني *** ما فادني بكا ولا ينفع تدوان.

من سمّوا سيّبلي في الدليل مشها *** بما جبرت لضرّي حكمة ولا طبيب. (بن تريكي)

واحد بالوجد قلوق *** لا عقل لا خلوق.

حتى شمله مفروق *** ما صبر على الرفيق (بن مسايب)

2. الآخر هو سبب الإخفاقات، وتولّيه الأمور قضاء وقدر.

ما صبت من يعذر حالي *** زادت في حشايا دبلة. (المنداسي)

يا نيّاب كل يوم دمعي زّراب *** دون أسباب من فراقكم والغربة. (بن تريكي)

ما انهدوا لسطوتها حد كل مال *** بعد دار بها الحكم ولاّت للعمى (بن مسايب)

لعبوا بنا بقول قال *** عيطة حساد يكرهوني (علي كورة)

3. اتباع النبي موجب النجاة بشفاعته.

الساعد ما هو شقي *** يمتازوا في المحشر يوم يتبرقوا.

بفضل راكب البراق *** يشفع في المذنبين يوم يتفرقوا (بن مسايب)

4. الدعوة إلى الله من الأمور الواجبة التي تقضي الحاجات.

محمد بن عصمان صال *** قادر ربّي يهديه.

يجوني في يوم سعيد *** قادر تقّلبهملي آ الحي العالي (قادة بن السكويت)

لا طبيب يداوي قلبي من السقام *** غير ربي داري مكان فالدغيس (العربي بن حمادي)

5. شريف النسب هو شريف السلوك.

من هو نسله حسيب *** فعله يعطيك الخبر (بن سهلة)

6. الإخفاقات الحياتية، والصعوبات المختلفة التي يواجهها المرء ماهي إلاّ ابتلاءات من الله تبارك وتعالى.

بيّا تدناقة الغزال *** ربي بغرامها بلاني (علي كورة)

قدّر رادلي وبلاني *** زلّت بالقدام نظرت بالأبصار (بن سهلة)

7. معتقدات طرقية: الدعوة لقطب التصوّف في المغرب العربي والعالم الإسلامي عبد القادر الجيلاني بإرجاع الأهل والعشيرة إلى موطنها الأصلي.

نطلب لعرج قطب الصالحين *** سيدي لا كيف سيد.

يقلب للتل الغايبين *** يجوا في يوم سعيد. (قادة بن السويكت)

8. الإخفاقات ناجمة عن عدم تحكيم العقل، واتباع الهوى والنفس.

لاعبة بيّ نفسي مالها لجام *** ما أعمل هذا العمل إلاّ ابليس (العربي بن حمادي)

بلا عقل هايم خلاني *** مشطون ممحون وغايس (بن سهلة)

وإضافة إلى هذه الأفكار التي طغت عليها الفكرة الدينية، لاحظنا بعض الأفكار التي يمكننا تصنيفها بالواقعية مثل:

9. الاعتراف والإقرار بالخطأ الذي جاء كردّة فعل لخطأ من الآخر.

عصمان ظلم ظلمناه *** وأحنا درنا فيه العار. (قادة بن السويكت)

10. الإقرار بأنّ المجتمع في واقعه يختلف عن مثالية: فشريف النسب، والعالم المتعلّم أصبحا غير مقدّرين كما في السابق، لأن المال أصبح يضع هذا، ويرفع مكانة ذاك.

المال يشرف النسب *** ويدير طريق في البحر.

اللي هو قلّيل *** إذا كان ضعيف ينحقر.

لو يقرا سيدي خليل *** في الدنيا ما يلوا وقر. (بن سهلة)

11.وأخيرا، وليس آخرا لاحظنا أنّ المواقف السياسية المعارضة معلنة صراحة، وليست لا مخفية، ولا ملمّحة.

ما نهدوا لسطوتها حد كل مال *** بعد دار بها الحكم ولات للعمى. (بن مسايب)

أي أنّ بن مسايب يصف حال تلمسان بعد أن أصبحت في يد الأتراك العثمانيين، حيث كانت في القمة قبل ذلك، وأصبحت لا يعبئ لها في العهد العثماني، وهذا إعلان صريح عن رفض الوجود العثماني في الجزائر.

محمد بن عصمان صال *** قادر ربي يهديه. (قادة بن السكويت)

أي أنّ قادة بن السكويت مثلما اعترض على الباي العثماني حربه ضد قبيلة الشاعر (المحال)، وافقه أيضا حينما أراد الهدنة والسلام.

12-1-2- الفترة الثانية: عهد الاحتلال الفرنسي.

الفئة الأولى: الشعراء المخضرمون: كثر الحديث عن الدنيا، وعن تقلّب الأحوال، وعن الأحكام حول الدنيا التي غالبيتها ذات قاعدة دينية. كما توجد أفكار تتعلّق بالانتماء الاجتماعي، وبلزوم اتّباع الجماعة، والاعتماد عليها لمواجهة القلاقل والاضطرابات.

كما أعلن العديد من الشعراء عن مواقفهم تجاه ثنائية العيش- الموت، فالعيش يجب أن يكون عيشا كريما، وإلاّ فالموت أهون. وهذه التقنيات التفكرية -إن صحّ التعبير- جاءت كنتيجة للصدمة الاستعمارية التي حوّلت في البناء الاجتماعي العام، فتغيّرت الموازين الاجتماعية والثقافية، وانحّط المستوى الاقتصادي للجزائريين نتيجة الهدم الاجتماعي- اقتصادي الذي تعرّض له المجتمع الجزائري جرّاء الحركة الاستعمارية، وبالتحديد الحرب الاحتلالية الفرنسية التي دامت 50 سنة، وهي الفترة بالذات التي عاش فيها شعراؤنا المخضرمون، وهذه تفاصيل هذا الكلام:

1. الدنيا هي مغيّرة الأحوال، وهي التي تجبر الناس على شروطها.

حتى أنا جرّعت مرار *** والدنيا الغرارة غرّت لي قلبي.

الدنيا غير قال قال *** شعنا في المدن والبراري. (مصطفى بن براهيم)

الأيام يا أخواتي تتبدّل ساعتها *** والدهر ينقلب، ويولّي في الحين. (عبد القادر الوهراني)

هكذا نشان الدهر يحط قدر لعيان *** لكن الله يجازي من قال شي بفعله. (محمد بن الشاهد)

2. صعوبة المحيط الفيزيقي تؤدّي إلى الابتعاد عن الواقع بالتوّهم والحلم.

كيف نهى والقلب رهين عندهم.

كل يوم انوّح ونقول *** آه من صاب.

في المنام نراهم، ونرى خيالهم. (مصطفى الكبابطي)

3. كثرة مصاعبي نتيجة وجودي في وقت غير لائق لا في حالته العامة، ولا في علاقاته الاجتماعية.

أكثر هولي، وجيت في ساعة الخدع *** مالي نعّار ينفع للوسيمة (الطاهر بن حواء)

4. صعوبة الدنيا وضغوطاتها، وكل محيطها الفيزيقي أهون من صعوبة المحيط الاجتماعي، فالسجن أهون من ردّة فعل المجتمع تجاه الذي لم يؤدّ واجبه الاجتماعي.

ما بيّاش الحبس، بيّا العيب والعار *** يقولوا هذا بشيخه واسمح فيه. (محمد بلخير)

5. العرق دسّاس، والناس على أعراقها فالسيّد الحر يلد إلاّ حرًّا والعكس صحيح.

شرف من كان بوه شين ما مات إلاّ مذلول *** من صاب لي خصيم يكون فاهم معناوي. (محمد بلخير)

6. من طلب الرفه والعلا صبر لمشقّة الوصول إليهما.

لكن أنا نصبر وعسى تزول لحزان *** من يدير يجني شهد يذوق سم نحله. (محمد بن الشاهد)

السهل والوعر ضاق من كتايف جيشك *** كلوا سيوفهم في حصى أعدادها المشكوك. (الطاهر بن حواء)

إضافة إلى هذه الأفكار. نلاحظ على الشعراء المخضرمين وجود أفكار دينية تغطّي الكلام الدنيوي، أو بعبارة أخرى هناك كلام من نظرة الحياة منطلقه تفكير ديني:

7. الحل الوحيد لضغوطات الواقع المادي هو الصبر.

آه يا عبد أصبر، واستلزم إلى القضيّة.

كن لله فيما تلقى العبد صابر. (مصطفى الكبابطي)

الصبر لأمر الله فيما قضى عليا *** ما يدوم على حاله إلاّ الكريم فتاح. (محمد بن إسماعيل)

8. اتباع الصلحاء والأولياء منجاة للنفس، وسبب من أسباب كتابة النجاة من الله.

يا اللي تحب والي تريد مجمع شملك *** ويدير ليك مولاك فالمضيق سلوك. (الطاهر بن حواء)

أنصر علام عبدك أمير المؤمنين *** عبد المجيد ناصر الدين المختار. (محمد بن إسماعيل)

9. العيش بكرامة في كنف المسلمين، أو الموت بعزّة وكبرياء: رفض العيش تحت سيطرة العدو الكافر.

إذا قضات ليام بقيام ساعة الغل.

تفنى جنود الإسلام *** ولا معيشة الذل. (محمد بن إسماعيل)

10. شروط الفوز هو الثبات على الأمر من القادة حتى يتبعهم العامة، ومن شروطه أيضا هو إحكام العقل من القائد.

جيوش يرميوا أبطال محربين شجعان *** يتقدموا لعداهم في الحرب ما يولوا.

شاهدوا رئيسهم في الحرب ليس دهشان *** ما يساميه الخوف، ولا يغيب عقله. (محمد بن الشاهد)

11. الله قادر على تغيير الواقع الأليم، والصعب.

سلكني من ضيق العدو والتزيار *** قادر تبني الريح والكاف توصيه. (محمد بلخير)

رزقي وآجلي كلهم في يد الفوقاني *** يرزقني خالق العباد الله لا غيره. (عبد القادر الوهراني)

12. يد الله مع الجماعة، التمسّك بالجماعة في كل الأحوال لقضاء الحاجة الدنيوية، ولضمان الاستمرارية الأخروية بحفظ الدين:

اغريب وبارد الأكتاف *** ما نقدر لعفار الناس وين رجالي

ما عنديش المعرفة *** ولا حد صديق نقرله بأفعالي. (مصطفى بن براهيم)

محفوظ ما ترى باس من يريدوا شرك *** مضمون من الآذاية أهل الصفا ضمنوك. (الطاهر بن حواء)

ساعة حصلت في يدين رجال محزمين *** سلطان جيش الإسلام اسقاك امرار. (محمد بن إسماعيل)

مادريت علاش غير باطل الناس جفاوني *** أنساوا محبتي وقالوا من سال عليه. (عبد القادر الوهراني)

13. اختلاف أخلاق الناس، وتبدّل قيمهم الإسلامية

ما يتقاش من طاق *** غلاب غلبني وطعنّي وراد قتالي. (مصطفى بن براهيم)

وآخر طايح مفتون كي اللي بالطاسة مسطول *** وآخر قاسح وحنين بين التوبة والعشق الهواوي. (محمد بلخير)

الناس اتبّع المرفّه، ولو نصراني *** سعده من بقى مل الناس تعانيه. (عبد القادر الوهراني)

هذا، وقد لاحظنا أنّ الشعراء المخضرمين لم يتحدّثوا صراحة عن مواقفهم السياسية، رغم أنّهم عايشوا الحملة الاستعمارية وحروب الاحتلال الفرنسي. ولعّل ذلك معقول من أناس عاشوا فترة الغطرسة الأولى للفرنسيين والحكم المطلق بسياساته الإبادية. لكن رغم ذلك فإنّ شعراء هذه الفترة قد عبّروا عن انتمائهم الثقافي بصراحة، وعن رفضهم الاندماج، واختلاط الأعراق والأخلاق، وهم بهذا يعبّرون عن رفضهم الاستعمار الفرنسي، بل أكثر من ذلك العديد منهم عبّروا عن حزنهم لفراق الأحبّة (المسلمين العثمانيين) وعن ارتباطهم بالخلافة الإسلامية العثمانية.

- **الفئة الثانية: شعراء العهد الاستعماري:** الملاحظة الأولى على كلام شعراء عهد الاحتلال فيما يخص تقنيات تفكيرهم هو كثرة حديثهم عن الفساد الأخلاقي، والفساد الاجتماعي بصفة عامة، ومحاولة إعطائهم الأسباب التي جعلته متفشيّا. وغالبا ما يكون الفساد ناجم عن التخلّي عن الأعراف والتقاليد الثقافية عامة، والأخلاق الدينية على وجه التحديد. ويفسّر هذا كون الاستدمار الفرنسي استطاع التحكّم في الروابط الاجتماعية المتشكّلة على الالتحام والتجمّع القبلين وبالتالي استطاع هذا الاستدمار أن يفتح قيود المجتمع التقليدي ويحرّر الإنسان من واجباته الأخلاقية تجاه جماعات انتماءه. كما غلب على منطق شعرائنا، وهم يكثرون الحديث عن البلاء والابتلاء كانتكاسة فردية، وجماعية مع تغليب التفسير القدري، والاقتناع به. كما لاحظنا كذلك منطق التقوقع عبر الحديث عن الجماعة والقبيلة، والاهتمام بمآلها، وكلّ هذا سببه بكل بساطة أنّ شعراء هذه الفترة، وخلافا لشعراء الفترات السابقة عايشوا تطبيق السياسة الاستعمارية الفرنسية الرامية إلى القضاء على النظام القبلي، والروابط الاجتماعية التقليدية، إضافة إلى القضاء على النظام الاقتصادي المتوازن والمستند على الزراعة وتربية المواشي. وهذا ما جعل منطق شعرائنا يتأثّر بهذه الأحداث التاريخية. وهذه بعض تفاصيل هذا الكلام:

1. لا يجب مخالطة الفاسدين، حتى ولوكان الغنى تحت أيديهم، وفي أتباعهم الصالح المتديّن، والطالح المتبّع للدنيا.

الخلطة الراشية اترشّي، خذ القسطاس *** يوم يبريزنا اتنحّس *** وغلب أصداه الرجاس (عبد القادر بطبجي)

لا تعين الظالم، واشراك بالمال *** لا تيقظ فتنة ولا تخالط سفيه.

النحلة إذا رعات العشبة المرّة *** عسلها بعد العصير من ذاقه يرميه (قويدر بن إسماعيل)

2. سبب ضنك وفساد معيشة الجزائريين هو بعدهم عن الدين وعن الأولياء الصالحين، والتفافهم حول اللهو والطرب.

ذي سبّة الجزائر *** فاض عنها بحر البهتان *** والفساد الجاير *** وين سيدي عبد الرحمن صد عنها سافر.

والتهينا بالانطراب *** لهاكف المعاصر.

انتسات الأوقات الخمسة *** وذكر سيد البشر. (قويدر بن إسماعيل)

3. الخمر تذهب لا الدين فقط، وإنّما الأدب والتربية كذلك.

فيك ترك التوبة *** وفيك ترك الأدب. (عبد القادر الخالدي)

4. ترحال القبيلة، وهجرتها موطنها الأصلي طامة لا يقدر على حلّها إلاّ الله.

يا خالق البحور *** رد النجع إلى أعداس الشور. (بن قيطون)

5. الجماعة والقبيلة حصن الفرد من المآسي الاجتماعية.

كانوا مجمولين *** أحصن وفراسات مبطوحين

عادوا مسجولين *** في حبس أن لا شافتوعيني. (بن قيطون)

6. الدين والاستعداد القوي سلاح المؤمن، وسوف يقتل به من تركه وأعطاه لعدوّه. فالدين هو السلاح، والنجاح فيه نقمة للعدو الكافر.

يا من بليت قلبي عافية بصورة *** ي ليلتي هنيّة *** تسقي الكيوس هي *** نشفى العليل حين انعنّق ولفي يموت العدو. (كلام صوفي: قدور بن عاشور)

من يمد سلاحه لعدوه به يقتال*** من يرافق خداع على الهوا ايدر بيه. (قويدر بن إسماعيل)

7. ما هو مكتوب في الجبين، وجب الصبر على أوجع ما فيه، فالذّل بعد العزّة قضاء وقدر من الله عزّ وجل، والطمع لا يكون إلاّ من لطف اللطيف.

كي عاد أمر الحنين رب العالمين *** لا صبت لها منين نقلّب اهديّا

صبري صبري عليك نصبر أن ناتيك *** نتفكّر غير فيك يا أختي انتيا. (بن قيطون)

بكاني غير الهوى طايح يخضار *** كل ذا مختوم علّي بقفالوا

راني صابر للقضا تحت القهار *** في السابق حنان يوفى تيجالوا. (أحمد السماتي)

قدّر ربّي دارت الساعة *** لروح عزيزة ورخست يا لحباب. (عبد الله بن كريو)

امرك في يد خالقك رزاق كل أجناس *** من بيده كل شي مأسّس *** الأجل والرزق بالقياس. (عبد القادر بطبجي)

8. لا المحب ينفعك، ولا الذي يكرهك يضرّك إلاّ بإذن الله القادر على تنجية الصالحين، فطاعة المولى تنجي فاعلها، وطالبها والمحب لها.

من كرهك ما ايسكنك في جوف ارماس *** كذاك من بغاك يوكس *** ماله طاقة على الخلاص (عبد القادر بطبجي)

الربح فيك بلا خدمة مغرور من يؤثر غيرك

الأرض كلها والسماء *** العرش والقلم من نورك. (أحمد بن مصطفى العلاوي)

9. لم يبق في هذا الزمن قدر، ولا احترام لأهل الصلاح والفلاح، فالطالح غير المتخلّق أصبح يفرض أحكامه.

الملاح غيابه وحسهم ما ثغب *** وارثين الرهبة أضحاوا سهم الغتب (عبد القادر الخالدي)

جدول رقم (1): الجدول التحليلي الخاص بتقنيات التفكير

الفترة الأولى: أهم أفكار شعراء العهد العثماني	الفترة الثانية: العهد الاستعماري	
	الفئة الأولى: أفكار المخضرمين	الفئة الثانية: أفكار شعراء عهد الاحتلال
- سيطرة الفكرة الدينية على طريقة التفكير ورؤية الحياة - العاقل هو المتديّن - كل ما في الوجود قضاء وقدر. - لا يمكن إيجاد حل للإخفاقات المتكرّرة، فالمطلوب هو الرضا والصبر - الآخر هو سبب الإخفاقات - اتباع النبي موجِب النجاة - الدعوة إلى الله تقضي الحاجات - شريف النسب هو شريف السلوك - الإخفاقات الحياتية هي ابتلاءات من الله - وجود بعض المعتقدات الصوفية - الإخفاقات ناجمة عن عدم تحكيم العقل - الإقرار بتغيّر قيم المجتمع	- الحياة يجب أن تكون كريمة، وإلّا فالموت أهون. كما كثر الحديث عن فكرة الجماعة والتجمّع - الدنيا تجبر الناس على شروطها - صعوبة المحيط الفيزيقي تؤدّي إلى الابتعاد عن الواقع بالتوهّم - العرق دسّاس، والناس على أعراقها - صعوبة المحيط الفيزيقي أهون من صعوبة المحيط الاجتماعي - الحل الوحيد لضغوطات الواقع المادي هو الصبر - اتباع الصلحاء والأولياء منجاة للنفس - العيش بكرامة في كنف المسلمين أو الموت بعزّة وكبرياء - الله قادر على تغيير الواقع الأليم - يد الله مع الجماعة - اختلاف أخلاق الناس وتبدّل قيمهم الإسلامية.	- تركيزهم على الجانب الأخلاقي، ورفضهم للفساد الأخلاقي، كما تركّز الأمر على التقوقع على الجماعة والقبيلة - لا يجب مخالطة الفاسدين حتى لوكان الغِنَى تحت أيديهم - البعد عن الدين، وعن الأولياء الصالحين سبب ضنك المعيشة - ذهاب الدين والأدب بسبب أم الخبائث (الخمر) - ترحال القبيلة وهجرتها لموطنها الأصلي طامة كبرى - الجماعة والقبيلة حصن الفرد من المآسي الاجتماعية - الدين والاستعداد القوي سلاح المؤمن - وجب الصبر على أوجع ما في القدر - كل شيء يصيبك مقدّر عليك - ضياع هيبة وقيمة أهل الدين والصلاح.

من خلال هذا الجدول التحصيلي يمكننا التأكيد على ثلاث ملاحظات رئيسية:

- بالنسبة لشعراء العهد العثماني هناك غلبة الفكرة الدينية على الفكرة الدنيوية فالفكرة الدينية تفسّر وتعطي معاني للواقع المادي، وهي المحرّكة للمواقف والسلوكات.

- بالنسبة للشعراء المخضرمين لاحظنا أن الملموس بدا يتغلّب على رؤية الحياة vision du monde (مصطلح رؤية العالم والحياة مصطلح عرف به عالم الاجتماع الماركسي من أصول مجرية جورج لوكاتش وقد ربطه بالأيديولوجية والطبقة الاجتماعية)، كما ظهر على هذه الفئة اهتمامها برجل الدين بدل الفكرة الدينية.

- أهم ملاحظة على فئة شعراء الاحتلال هو بداية التركيز على النقد الاجتماعي الأخلاقي، والتركيز في الحديث على الانتماء الاجتماعي، ووجوب العودة إلى الروابط الاجتماعية القديمة (روابط القبيلة والجيرة).

12- 2- أنساق الأمن:

12-2-1- الفترة الأولى: العهد العثماني: فيما يخص أنساق الأمن، فإنّ شخصية شعرائنا تميل بطريقة تلقائية إمّا إلى التقوقع على الذات للتعبير عن الذات الحزينة، والبكاء على الأطلال، وإمّا إعطاء التفسير الديني حقّه في منح الإجابة الشافية المصلحة للحالة النفسية. فالقلاقل، الاضطرابات والصعوبات الناجمة عن قهر المحيط المادي للشاعر هو ابتلاء من الله وجب الصبر عليه، فالقضاء والقدر لا ينفع معهما لا البكاء ولا النواح. ثم إنّ التديّن والعودة إلى الله ورسوله، باتباع سنة هذا الأخير تنجي الإنسان النجاة الحقيقية الأبدية يوم القيامة من جهة، وتمنح المكانة الاجتماعية، وبالتالي فرصة تجاوز الصعوبات الدنيوية الاقتصادية والاجتماعية من جهة أخرى. كما لاحظنا وجود بعض الأفكار الطرقية- الصوفية التي تقضي باعتقاد قدرة الأقطاب الأولياء على أمور ليست في متناول البشر. وهذه تفاصيل هذا الكلام:

1. النجاة هي العودة إلى الله، واتباع طريق السنّة النبوية فهي المذكّر بما ينتظر الإنسان في الحياة الأخرى.

لله توب يا بنادم *** اتفكّر القبر وعذابه يرجاك.

إذا بغيت تنجي نفسك *** سال على طريق السنّة (بن خلوف)

2. العودة إلى النبي الكريم وتعليماته منجاة الإنسان في الدنيا وفي الآخرة يوم الشفاعة.

سعده اللي شرّق *** للنبي والتحق.

يطلب ويتحقّق *** وارتجع للطريق. (بن مسايب)

3. مدح النبي يزيد في المكانة الاجتماعية، ويعطي الشرعية الاجتماعية.

مداح رسول الله يا حافظ النظام *** لا تظنوا مداح النبي ارخيص. (العربي بن حمادي)

4. الأخطاء التي يقع فيها الفرد هي قدر وابتلاء، بل حتى المنهي عنه وغير المحبّب الذي يقترفه الإنسان ابتلاء من الله، فما على الإنسان إلاّ الصبر.

سلّمت ورضيت بغلبي *** صابر بما قضى الرب الوهاب. (المنداسي).

ربّي كتب اعليّ بالوحش بلاني *** ما فادني بكا ولا ينفع تدوان. (بن تريكي)

هكذا قدّر وقضى ربنا الحكيم *** كيف أراد فعل بأحكامه وقدرته. (بن مسايب)

بيّا تدناقة الغزال *** ربّي بغرامها بلاني. (علي كورة)

قدّر رادلي وبلاني *** زلّيت بالقدام، نظرت بالأبصار. (بن سهلة)

5. الأمن الحقيقي هو الأمن الرباني الموضوع في القلوب.

لا طبيب يداوي قلبي من السقام *** غير ربّي داري مكان فالدغيس. (العربي بن حمادي)

6. التقوقع على الذات والبكاء على قهر الزمان للهروب من مشاكل الواقع.

نشكي بقرح وأحزان *** ما صبت من عذرني *** دمعي هطيل طوفان *** على الخدود تسني.

سهران انبات ليلي *** نبكي وأنت حالي ما يخفاك *** ما صبت حبيب ليه نشكي *** نراعي يوم نراك. (المنداسي)

كل نهار دمعتي على الخد أمطار *** عنّي جار حبكم اعملني داروا. (بن تريكي)

منّه تقوات دمعتي *** افنيت وخاطري انقهر (بن سهلة)

7. الولي الصالح عبد القادر الجيلاني سلطان الأولياء قادر على إرجاع الغائبين (أفراد القبيلة) إلى مكانهم الأصلي.

نطلب لعرج قطب الصالحين *** سيدي لا كيفوا سيد

يقلب للتل الغايبين *** يجوا في يوم سعيد. (قادة بن السكويت)

12-2-2- الفترة الثانية:

الفئة الأولى: الشعراء المخضرمون: ما يلاحظ على الشعراء المخضرمين في قضيّة أنساق الأمن أنّ الأمر عندهم تعلّق بموضوعين اثنين: الأوّل هو الموضوع الديني الذي أخذ منحيين من حيث أنّ الله محاسب الناس على أفعالهم، وهو قادر على كل شيء بما في ذلك إرجاع الأوضاع إلى حالها الأصلي، وكذلك من حيث أنّه لم يتبقّ للجزائريين المسلمين إلاّ اللجوء إلى الله ورسوله. ويرجع ذلك بالأساس إلى أنّ الشعراء المخضرمين عاشوا أصعب وأحلك الأوقات مع الحروب الاستعمارية للجيش الفرنسي، أين شهدوا الصدمة الاحتلالية بكل أبعادها خاصة من الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية، وهوما جعلهم أكثر من غيرهم من شعراء العيّنة حرصا على التمسّك بالدين،

والعادات، والتقاليد، وبالثقافة بصفة عامة. أمّا الموضوع الثاني الذي يظهر بوضوح فهو التمسّك بالأهل، والعشيرة، والقبيلة، وبابن البلد الحقيقي، بل حتى التمسّك، وإعلان الحسرة على فقد الأحبّة المسلمين الذين كانوا يحكمون البلد. وفي هذا السياق نلاحظ أنّ الشعراء لم يحثوا على التمسّك بالذات الثقافية -الاجتماعية- إن صحّ التعبير- فقط، وإنّما إعلان الموقف الصريح بموافقة المجاهد ضد العدو الكافر الفرنسي، وامتداحه ومن معه في ذلك. وإن دلّ هذا على شيء، إنّما يدّل على قوّة الصدمة الحضارية التي تعرّض لها المجتمع الجزائري، والتي حوّلت من موازين القوى الاجتماعية والاقتصادية داخل البلاد، وهذه أمثلة عن ذلك:

1. العودة إلى الله ورسوله منجاة للفرد والجماعة، فالله هو الناصر لعباده المؤمنين. وهو المنجي من ابتلاء الهجر والغربة.

رفدوا كفوفهم للمولى *** وادعاوا بالنصر من الخالق

رغبوا باسم الجلالة *** وفضايل الرسول الصادق.

يا إلا هي ألطف يا ذا الكريم بيا *** طالت أيام الهجرة وانحياو الجراح. (محمد بن إسماعيل)

2. الزمن يقلّب التراتبية الاجتماعية، لكنّ الأساسي في كل هذا أنّ الله هو المجازي، والمعاقب على أعمال البشر.

هكذا شان الدهر يحط قدر لعيان *** لكن الله يجازي من قال شي بفعله. (محمد بن الشاهد)

3. الصبر على البلاء *** وعلى أمر الله وقضائه.

أصبر والمومن مصاب *** ايفرّج ربّي وتعود فارح سالي. (مصطفى بن ابراهيم)

4. الشكوى لغير الله مذلّة، في وقتٍ اختلفت فيه الأمور، وتقلّبت التراتبية الاجتماعية.

الطيّب للناس ليّا راه مرار *** والشكوى للّي خلقني لا غيره

يعز المذلول، ويذل المقدار *** وينزل من كان مرفوع بجنحيه. (محمد بلخير)

5. سوف أبقى محبّا، ووفيّا للنبي الكريم - صلى الله عليه وسلم- حتى، ولو شاع هذا الخبر في العلن – زمن الحكم المسيحي الفرنسي-.

ما نزول على حبّك يا طبيب دايا *** لويبّرح بخباري في السواق برّاح. (محمد بن إسماعيل)

6. النجاة باتّباع النبي – صلى الله عليه وسلم- الشافع المشفّع من أهوال يوم القيامة.

هو يفك جهنّم وأهوالها *** سيد الرجال شفيع المذنبين. (عبد القادر الوهراني)

7. محبّة النبي، وامتداحه حصن المسلم من الموبقات، ومدعاة للنجاة يوم المحشر.

يا محمد ليك يهرب الخلق ناسق *** في اليوم المعلوم حق بلا خلافي

من هول الحشر ساقهم ليك سايق *** كلّتهم محتاجين ليك ما كان كافي. (الطاهر بن حواء)

8. لم يبق للمسلمين إلاّ الصبر على ما آلت إليه البلد من حكم الكافر، واللجوء إلى الله هو السند الحقيقي للإنسان، فهو الرازق والمُغنِي الذي يجعل الذليل في المجتمع عزيزا.

الصبر يا أمّة محمد لأيامها *** هذا ما قضى رب العالمين.

الطبع في الله ماشي في العبد الفاني *** خلّي من قال شي كلام الله يكافيه

رزقي وآجلي كلهم في يد الفوقاني *** يرزقني خالق العباد الله لا غيره. (عبد القادر الوهراني)

9. محبّة الأمير عبد القادر من محبّة الله ورسوله - فهو الأمير المسلم المجاهد-، ومحبّة الله ورسوله مكسب اجتماعي وثقافي.

هانوا أعمارهم في رضي الذين وارضاتك *** الله حبهم والرسول كي حبوك. (الطاهر بن حواء)

10. التذكير بقيمة حفاظ كتاب الله، واللجوء إليهم للشهادة الاجتماعية.

نحلف لك بالطلبا اللّي قراو الكتاب المنزول *** ما عندي في الناس غير عدّة والصحراوي. (محمد بلخير)

11. الأمن يكون مع الأهل، والعشيرة، والقبيلة الشديد بأسها.

وطني شق الجبال بعيد *** ومركب ألفين عقيد

ناس الشوم وناس الكيد *** نقمة للعادي ما كان فيهم تالي

بني عامر صور حديد *** عز المضيوم الجويد ذوك أبطالي. (مصطفى بن براهيم)

12. التمسّك بالأصل، بابن البلد الحقيقي، لأنّ التركي غريب لا يمكنه الدفاع عن الناس، أولا يمكنه الاستمرار في ذلك.

أنا من سربة الأبطال *** بني عامر ذوك وردي

وأنت تركي، وبوك صال *** آخليفة بأينا نودّي. (مصطفى بن براهيم)

13. النجاة هو العودة إلى الجماعة، والأهل والوطن، والله هو القادر على نجاة الناس.

سلاك المغبون من أرض القفار *** قادر كل غريب لبلاده تدّيه *** فرّج يا رب على من ضاقت بيه. (محمد بلخير)

14. الأمن والوقار مع الأهل والأحباب لما كانوا موجودين، وما بقي إلاّ البكاء عليهم لما رحلوا (الأحباب هنا هم الأتراك المسلمين).

يوم صدوا الجباب بلا وداع رحلوا *** ابقات عيني تجري بمدامع الشواق

الصابر لأمر الله فيما قضى عليّا *** ما يدوم على حاله إلاّ الكريم فتاح. (محمد بن إسماعيل)

- **الفئة الثانية: شعراء العهد الاستعماري:** أهم ملاحظة نلاحظها على شعراء العهد الاحتلالي الفرنسي هو تقوقع الشعراء على الذات، وبكائهم على حالهم، وإقرارهم بصعوبة الأحوال بطريقة

تجعلنا نعتقد أنّهم رضخوا للأمر الواقع، ورضوا بالغلبة للمستعمر. كما لاحظنا تناول شعرائنا لموضوع الفراق أكثر من مرّة، وهو يرجع بالدرجة الأولى إلى التهجير الجماعي، والنفي الذي عرفه الجزائريون عامة نتيجة الغطرسة الفرنسية التي حطّمت البنية التحتية للجزائريين. وإضافة إلى هذا التقوقع والتحلزن لازم الفكرُ الدينيُ تفكيرَ شعرائنا في كل أحكامهم ومواقفهم. وهذه تفاصيل القصائد الشعبية في ذلك:

1. البكاء والنواح على فقدان الحبيب، والتعلّق به رغم ذهابه.

نبكي والراس شاب عن مبروم الناب *** فرقة الأحباب ما تصبر عينيّا. (بن قيطون)

2. التعبير عن حرقة الجفاء، النواح على الحال والمآل، والبكاء على الأطلال منفذ نفسي من المعاناة النفسية والاجتماعية المعقّدة.

نيران شاعلة في قلبي يا لايمني قويّة *** ممحون من صبيّة ناسها جبابرية

ملسوع من جفاها مير *** حشايا كثير صدّه. (قدور بن عاشور)

نبكي، ونبكّي معايا اللي حضّار *** عيني بدموع راسي ينهالوا. (أحمد السماتي)

حقنا نبكيوا بالألماح *** كيف يهى ذا الخاطر. (قويدر بن إسماعيل)

3. الله تبارك وتعالى هو المنجي من مشكلة الوحدة، والفراق، والتفرّد. وهو القادر على إرجاع الأهل والعشيرة إلى موطنها.

يا خالق البحور *** رد النجع إلى عداس الشور. (بن قيطون)

4. الله هو الرحيم من لوعة الفراق خاصة لأتباع سيّدنا محمد – صلى الله عليه وسلم-. يا

رافع السما ترحمني، وترحم والديا *** بجاه بورقيّة *** أحمد خير البرّية

وارحم حافظي، وارحم من سمعه معه قعدو. (قدور بن عاشور)

5. الصبر على قضاء الله وقدره حتى نيل حبل النجاة.

راني صابر للقضا تحت القهار*** في السابق حنان يوفي تيجالوا. (أحمد السماتي)

6. الله هو فاتح أبواب الرحمة والجود، فالعطاء والقبول منه عزّ وجل لأنّه الحامي للأمّة المحمدّية.

حاول الزاد يهرق وتصبح مهروق *** وإذا كنت مفروق *** ما ايسلكك إلاّ الحق الباقي. (قدور بن عاشور)

يا ربّي يا خالقي جود عليّ *** وفتح لي بيبان فضلك يا وهاب. (عبد الله بن كريو)

ربّي يقبل لي سؤالي *** توبة منه مرضيّة

تحمينا في كل حال *** والأمّة المحمّدية. (أحمد بن مصطفى العلاوي)

7. امتداح النبي، وتبجيل الله بالشعر والقوافي وسيلة الشاعر لطلب الإغاثة والحماية.

أهربت للحماية نذكر اسم اللطيف *** زدت إغاثة نبينا بالشعر والقوافي. (قدور بن عاشور)

8. الرسول – صلى الله عليه وسلم- غوث العباد يوم الحشر، فهو الشافع المشفّع.

غوث العباد يوم الموقف *** ساخي الكف زين الصفة (عبد القادر بطبجي)

إضافة إلى هذين الموضوعين المتكرّرين، نلاحظ على هذه الفئة من الشعراء أنّهم تحدثوا كثيرا على موضوع العلاقات الاجتماعية التي لاحظوا فيها اختلافات كثيرة وتحوّلات بارزة عمّا كانت عليه في السابق، وكان السبب الأوّل في ذلك حسب هؤلاء الشعراء هو بعدهم عن الأخلاق والسلوكات الصالحة النابعة من تعاليم الدين الإسلامي.

9. عزوف الناس عن الأولياء الصالحين سبب النكسة الاجتماعية (أو هروب الأولياء نتيجة الأعمال القبيحة للناس).

وين سيدي عبد الرحمن *** صد عنها سافر

إبراهيم سيدي فعسى *** يجود لي بسراير

وين لضرع بوعبسة *** شيخ عبد القادر. (قويدر بن إسماعيل)

10. اختلاط الحلال بالحرام سبب النكبة، وعلى الإنسان أو يتوب إلى الله عن هذه الجريمة.

بالحرام اتخلطت لرزاق *** العفر يا ساتر. (قويدر بن إسماعيل)

11. مخالطة الرذائل تولّد الرذيلة، وتعني الابتعاد عن الدين، فالتمسّك بالدين مسلك النجاة.

خذ رايي يا ولدي لا تخالط لرذال *** صون دينك، وكتم السر لا توريّه. (قويدر بن إسماعيل)

12. الستر وعدم الافتضاح واجب فيما بين الأصحاب.

استر حالي يسترك عالي العليا *** راه رفيقك مكنه رامي عطاب. (عبد الله بن كريو)

13. اعتزال الناس، وسيلة النجاة في زمن الفتن.

اعتزال ناس وقتنا تنجا من الوسواس *** تبقى طول المدّة حارس *** لا تشغل خاطرك بالناس (عبد القادر بطبجي)

14. يجب الحذر عند مخالطة الناس، فالخوف من الفضيحة وعدم الستر أمر شرعي ومعقول.

خافوا منها من العقول الذكيّة *** رصدوها داروا عليها كم حجاب. (عبد الله كريو)

خذ وصاية، وصونها وافهم لفظ قياس *** قيس الخلطة، وكن كيّس *** اتحذّر، وفيق من النعاس. (عبد القادر بطبجي)

جدول رقم (2): الجدول التحليلي الخاص بأنساق الأمن

الفترة الأولى: أفكار شعراء العهد العثماني	الفترة الثانية: العهد الاستعماري	
	الفئة الأولى: أفكار الشعراء المخضرمين	الفئة الثانية: أفكار شعراء عهد الاحتلال
- التقوقع على الذات، والتأكيد على التفسير الديني - النجاة في العودة إلى الله - مدح النبي يزيد في المكانة الاجتماعية - الأخطاء التي يقع فيها الفرد قدر وابتلاء	- أوّلا: التمسّك بالدين أساس كل شيء، فالله هو المحاسب على الأفعال، وهو القادر على تغيير الأحوال - ثانيا: التمسّك بالأهل والعشيرة والقبيلة، وبابن البلد الحقيقي والتعبير عن الانتماء الإسلامي - العودة إلى الله ورسوله منجاة للفرد والجماعة - الزمن يقلّب التراتبية الاجتماعية غير الثابتة، فالأولى التمسّك بالله لأنّ القدر ثابت - الصبر على قضاء الله وقدره - الافتخار بالانتماء إلى أمّة النبي الكريم المنجي بشفاعته يوم القيامة - محبّة أولياء الله من الصوفية هي محبّة لله ولرسوله - التذكير بقيمة حفاظ كتاب الله - الأمن يكون مع الأهل والعشيرة والقبيلة - التمسّك بالأصل وبابن البلد لأنّ الغريب يظل غريبا، يأتي يوم ويذهب فيه - النجاة بالعودة إلى الجماعة والأهل والوطن	- الرضا بالغلبة والبكاء على الأطلال، والتقوقع على الذات بالحديث عن الفراق - البكاء والنواح على فقدان الحبيب، والتعلّق به رغم ذهابه - التعبير عن حرقة الجفاء - الله هو القادر على إرجاع الأهل والعشيرة إلى موطنها - الصبر على قضاء الله وقدره حتى المسك بحبل النجاة - الله هو فاتح أبواب الرحمة والجود - امتداح النبي وسيلة الشاعر لطلب الإغاثة والحماية - عزوف الناس عن الأولياء الصالحين سبب النكسة الاجتماعية - اختلاط الحلال والحرام سبب النكبة - مخالطة الرذائل تولّد الرذيلة - اعتزال الناس وسيلة النجاة - يجب الحذر عند مخالطة الناس

أهم ما جاء في هذا الجدول التحصيلي:

- التقوقع على الفكرة الدينية المانوية (المبنية على ثنائية الحلال والحرام/ الخير والشر/ المباح والمرفوض/ الصلاح والطلاح)، والتفسير القدري للنكسات والنكبات الاجتماعية والاقتصادية بالنسبة لشعراء العهد العثماني.

- بالنسبة للشعراء المخضرمين الحديث عن الروابط الاجتماعية التقليدية ووجوب التمسّك بها لمواجهة الواقع الأليم، وبداية الحديث عن رجل الدين بدل الفكرة الدينية.

- الحسرة على التغيّر القيمي، وظهور الفساد الأخلاقي، والإلحاح على وجوب اتباع رجل الدين.

12-3-الأنا الأعلى:

12-3-1- الفترة الأولى: العهد العثماني: الشيء البارز على شعراء العهد العثماني فيما يخص الأنا الأعلى هو موضوع الفخر والافتخار. وقد تعلّق الأمر بأمور ثقافية واضحة: النسب الشريف،

الانتساب إلى المتّبعين للأقطاب الصوفية، والأولياء الصالحين، صفة المادح للنبي الكريم – صلى الله عليه وسلم- بأشعار ليست في متناول أيّ كان، صفة الفارس المجاهد ضد الكفار النصارى، والانتماء إلى بلد العلم والعلماء. لكن الشيء الذي يحدّد كل هذا هو العمل الصالح فمن تأخّر به عمله، لم يتقدّم به نسبه.

1. الافتخار بالنسب الشريف إلى النبي الكريم – صلى الله عليه وسلم-.

المشهور اسمه بين الفيات *** مغراوي وجدّه رسول الله. (بن خلوف)

2. الافتخار بالانتماء إلى الأشراف نسل الأقطاب والصالحين.

منداس نورّي نسبي *** من نسل لشراف أولياء الأقطاب. (المنداسي)

3. الافتخار بصفة المداح للنبي، وبالقلب الطيّب الصافي، وبالشهرة والسمعة الطيّبة.

مداح النبي بلقاسم *** يا الله ترحم لخضر ما ينساك. (بن خلوف)

ذا القصيد على النبي العربي *** حبه في قلبي شاعل كالمشهاب. (المنداسي)

مداح رسول الله يا حافظ النظام *** لا تظنوا مداح النبي ارخيص. (العربي بن حمادي)

4. الاعتزاز بالانتماء إلى الأقطاب الصوفية وأتباعهم.

يا الأسناد درتكم صرخة واعناد *** للحساد يا لا بسين الوردي

يا الأغياد ارفقوا رفق الأجواد *** لمن عاد غيركم نعمل سيدي. (بن تريكي)

5. الاعتزاز بصفة الشيخ، وتنظيم القوافي في مستوى " العارفين" (صفة المتصوّفة).

امقلّد للوشاق حروبي *** كيف يقول شيخ من لا يفهم لجواب

اسعيد راني شاعر معروف *** قولي وكلامي متحوف

مداح عند العقول موصوف *** غرب وقبلة وجوف. (المنداسي)

هكذا قال أحمد يا فاهم البراعة اعلى التريكي رحّم ترحم بالجميع. (بن تريكي)

لو ذاقوا الناس أذواقي *** من نار الحب قلوبهم يتمزقوا

يا ساغ الشعر الراقي *** إذا سمعت قول بن مسايب صدقوا. (بن مسايب)

في قول الشاعر الأديب *** بن سهلة هكذا ذكر. (بن سهلة)

6. التعجّب من الزمن الذي تحوّل العالم الحافظ لكتاب الله، وسنّة نبيّه – صلى الله عليه وسلم- من كتب الحديث إلى ذليل في المجتمع.

اللي هو قلّيل*** إذا كان ضعيف ينحقر

لو يقرا سيدي خليل *** في الدنيا ما يلوا وقر. (بن سهلة)

7. الاعتزاز بالأهل الفرسان المجاهدين.

ما غبطوا في الدنيا مقام *** فرساني ما يخفوش
أناري وين أهل النقار *** لبطال المستحيين
يغزو في الليل وفي النهار *** تعدوهم قتالين. (قادة بن السكويت)

8. العيش بعزة وكرامة، ورفض عيش الذليل.

ما نرضى عيش التمرميد *** تنقطع ولا يبقاش فينا تالي. (قادة بن السويكت)

9. الافتخار بتحمّل ما لا يتحمّله الناس.

رويت من مرار الفرقة بجفاني شلا رواه يوسف في نكد لسجان. (بن تريكي)
نرفد ما يرفدوا الجمال *** على ما دارلي زماني. (علي كورة)

10. الافتخار بصفة الفارس المجاهد.

يا فارس من ثمّ جيت اليوم *** قصة مزغران معلومة. (بن خلوف)

11. الانتماء إلى بلد الدين واليقين اعتزاز كبير.

كانت بلد الحق والدين واليقين *** ما تحب البدعة وتنكر من فضل.
يا داري في الدنيا لأهلها تعود *** كيف كانت في الدهر الفايت القديم. (بن مسايب)

12. الأسف على ارتكاب الأخطاء ز الآثام، وعدم اتباع الطريق الصحيح: طريق التديّن.

نخدم المعصيات وناكل الحرام *** وين صبت القانة في وسطها انغيس
ما قريت ولا هنت قوت الطعام *** ما نبات على الذكر في سبحتي احريص
ما نروح نجاهد نموت فاللطام *** كيف نطمح فالتبر انكيلي ارخيص. (العربي بن حمادي)

13. من تأخّر به عمله، لم يتقدّم به نسبه. فالذي شَرُفَ نسبه تكون أعماله حسنة صالحة.

من هو نسله حسيب *** فعله يعطيك الخبر. (بن سهلة)

12-3-2-الفترة الثانية:

الفئة الأولى: الشعراء المخضرمون: ما يميّز شعراء فئة المخضرمين من شعراء الاحتلال في قضيّة الأنا الأعلى هو رفضهم لتغيّر الأحوال، وتقلّب الموازين الاجتماعية. حيث ظهر على كلامهم تعجّبهم الكبير من التقليل من قدر الأعيان، وارتفاع قدر الرعاع من الناس. وهذا يدلّ من جهة على أنّ المجتمع الجزائري كان متوازنا من حيث التراتبية الاجتماعية الواضحة التي بنيت على أساس معرفي ديني بالدرجة الأولى، ومن جهة ثانية على الصدمة الاحتلالية التي أخلّت بالموازين الاجتماعية، وغيّرت الكثير من معادلات العلاقات الاجتماعية.

كما لاحظنا أيضا دخول العامل الديني في شعور الفخر والاعتزاز الذي لازم شعرائنا كلّما تحدّثوا عن صفات الشجاعة، جهاد الكفار، الانتماء إلى الأمّة المحمدّية، والانتماء إلى أهل التوبة

والتصوّف. وقراءتنا لهذه المعطيات تقول أنّ الصدمة الاحتلالية أحدثت صدعا كبيرا في البناء الاجتماعي رفضته الشخصية الجزائرية في أعز ما تملك وهي كرامتها. هذه الكرامة التي أهينت لما أُخِلّ بالتراتبية الاجتماعية حين عزّ الذليل، وذل العزيز. ووجود الفكرة الدينية في هذه النقطة بالذات يدل على أنّ المجتمع مبني أساسا على الفكرة الدينية، فالتراتبية متوافقة مع الشرعية الدينية التي تعطي الشرعية الاجتماعية.

1. الاعتزاز والافتخار بالانتساب إلى سلالة الأشراف، سلالة النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم-، والاعتزاز بحبّ النبي وتحمّل تبعات التشهير بذلك.

يا غاية كرام النسب، يا من نسبك *** من بضعة النبي في أنسابها نسبوك. (الطاهر بن حواء)

ما نزول على حبّك يا طبيب دايا *** لويبّرح بخاري في السواق برّاح. (محمد بن إسماعيل)

2. حب الأمير عبد القادر لإحيائه سنة النبي – صلى الله عليه وسلم-، والتضحية من أجله محبّبة لأنّها تضحية لله وللوطن.

أحببت سنة الدين فالزمان الهالك *** نقمة لمن طغى، ياعذاب من بغضوك

هانوا عمارهم في رضى النبي ورضاتك *** الله جهنم والرسول كي حبّوك. (الطاهر بن حواء)

3. إعلان التعبية لأهل التوبة (الأعيان والصوفية)، وفكران تشقّي الأعداء.

مولى سبع اقباب مركع الزيار *** مولى السر الظاهر عليّ رضيّة

ما بيّاش الحبس بيّا العيب والعار *** يقولوا هذا بشيخه واسمح فيه

محمد بلخير عبد بلا تحرار *** نحسب سيدي الشيخ ليا وأنا ليه. (محمد بلخير)

الغيث يا أهل التوبة المتعينين *** لا يشتفا وفينا قوم الأشرار. (محمد بن اسماعيل)

4. التعجّب من تبدّل التراتبية الاجتماعية أين قلّ قدر الأعيان، وارتفع قدر الرعاع.

هكذا شان الدهر يحط قدر لعيان *** لكن الله يجازي من قال شي بفعله. (محمد بن الشاهد)

تمنع وتفك ساعة الخفض والرفع *** يا دامغ الكفر يا النعمة النعيمة

علي قدري على الورى بعدما أوضع *** ايبدّل العسر باليسير ملتزيمة. (الطاهر بن حواء)

الطيب للناس اليّ راه مرار *** والشكوى للّي خلقني لا غيره

يعز المذلول، ويذل المقدار *** وينزل من كان مرقوع بجنحيه. (محمد بلخير)

كأني ما كنت في المشاور*** والناس امجمعة معايا

عودي فشاوا كان يهمر *** يسري في الفجوج بيّا

وأنا إذا بغيت نامر *** من يعصي تلزمه خطيّة. (عبد القادر الوهراني)

5. التعلّق والتمسّك بالأهل والوطن.

أنا من سربة الأبطال *** بني عامر ذوك وردي. (مصطفى بن ابراهيم)

يا حمام أعني لي** * وعمل جميل فيّا *** بلّغ سلامي يا الورشان إلى الجزائر. (مصطفى الكبابطي)

6. الافتخار بجهاد الكفار.

يا حسراه منين سلسلنا الكفار *** والمغلوب يفوت حقه، ويخليه. (محمد بلخير)

عمرت دار الأشراف والعرب بانصالك *** عفريت صول زدمة على العدود كدوك. (الطاهر بن حواء)

7. الشهرة بصفة الشاعر عند القبائل العربية، والاعتزاز باحتفال العرب في أعراسهم بقصائده.

وأنا يا مولى غيوان *** ونقصد بك للإخوان

خبري شايع فالعربان *** وقنادزي في الأعراس بلا تلوالي. (مصطفى بن براهيم)

الفئة الثانية: شعراء عهد الاحتلال: ما يلاحظ على الأنا الأعلى لشعراء العهد الاحتلالي هو رفضهم الكامل للتحوّل القيمي والأخلاقي داخل المجتمع الجزائري، وتمسّكهم الشديد بخصال وأخلاق، وقيم المجتمع الإسلامي. وظهر ذلك جليّا في اعتزاز وافتخار الشعراء بالاتصاف بالأمانة، وحفظ الأسرار، وعدم الكلام بظهر الغيب، وبخصال التحدّي والشجاعة، وغيرها من الأخلاق المميّزة للمجتمع التقليدي الجزائري. وإن دلّ هذا على شيء إنّما يدلّ على أنّ التثاقف الحادث أثناء الفترة الاستعمارية أخذ شكل الرفض، وعدم الامتزاج مع الآخر، خاصة أنّ هذا الأخير من دين آخر غير دين الآباء والأجداد. وهوما يفسّر تمسّك شعرائنا بالشرعية الاجتماعية النابعة من الدين الإسلامي، حيث لاحظنا اعتزاز وافتخار شعرائنا بالنسب الشريف الموصول بالنبي –صلى الله عليه وسلّم-، وبالانتماء الفعلي والعاطفي إلى أمّة محمد –عليه الصلاة والسلام- وآله، وبمخالطة أهل العلم والمعرفة، وبتأليف الشعر الديني، واتباع المتصوّفة وأدبهم.

1. الافتخار بالخصال الحميدة (عدم الكلام بظهر الغيب، الأمانة، حفظ الأسرار، والصحبة غير المصلحية)

ما اغتبنا حد ولا غير *** راه ربي ناظر

ينعم علينا بالتشهير *** الإله القادر (قويدر بن اسماعيل)

رانا واقينا الكتوبين اسطار *** الأغواط بلا صالحة غدينالوا (أحمد السماتي)

واك الظن يخيب فيك يا خويا *** وأنا بحر غميق لسرارك مهاب (عبد الله بن كريو)

2. الافتخار بالنسب الشريف الموصول بالنبي – صلى الله عليه وسلّم-، وبالانتماء العاطفي إلى أمّة محمد وآله.

اسمي نوضحه نشرحه في أبيات نايرية *** قدور في الأسمية *** من العواشرية

غربي مأصّل ادريسي حسني الرسول جدّه (قدور بن عاشور)

قلبي ايحب سيد الخلق وآله *** والشاقي مدغول ما يله في الخير نصيب (قويدر بن إسماعيل)

3. الافتخار باتباع الخاصة من الناس واعتزال الهمّل، والتشرّف بتأليف الشعر والانتماء إلى الشعراء المتصوّفة، والحضرة الصوفية

حضرة على يميني وشمالي *** سلطانها تجلّي

والعاشقين في زندالي *** صاروا جميع خبلة

خلّي الرقيب لا يبالي *** قوته مرار دفلة (قدور بن عاشور)

مدالي في الزمان من خلطتهم نقاسي *** اليوم صفّيت كل مدرس *** وتبّعت احكايم الخواص (عبد القادر بطبجي)

ما يشوف قويدر توبيخ *** بن إسماعيل ولد الشيخ (قويدر بن اسماعيل)

4. التشرّف بإهداء القصائد الشعبية للنبي الكريم – صلى الله عليه وسلّم-

تميت ذا النظام اختمته *** نهديه للشفيع الهادي (عبد القادر بطبجي)

5. التشرّف بخصال التحدّي للجميع، ما عدا لأمر العليم القدير

لوان تجي للنقار تسمع كان وصار *** لن نهديها قمار والشهود عليا

كي عاد أمر الحنين رب العالمين *** لا صبت لها منين نقلّب اهديّا (محمد بن قيطون)

6. الاعتزاز بالموطن الأصلي، موطن العلم والتأليف الشعري، والافتخار بالأهل الفرسان المجاهدين

كي جاو من عندهم *** قالوا الأشراف ما بيهم

شاهي نطل عليهم *** أهل الجهاد والميداني (محمد بن قيطون)

يا من بغيت سكني ومراسم الأهلية *** فرقة الزراهنية **** قريش هاشمية *** في بلاد أسمها ندرومة مثل الشمس تبده (قدور بن عاشور)

7. التعجّب من تحوّل أخلاق الناس باتباعهم ما هو محرّم (الخمر)

يا طويل الرقبة *** فيك ريت العجب

محاينك صعيبة *** وأثرت في العرب (عبد القادر الخالدي)

اليوم اخطيت سوقهم يا فاهم تجناسي *** أعوذ بالله من الوساوس *** شر الخناس في الدباس (عبد القادر بطبجي)

جدول رقم (3): الجدول التحليلي الخاص بالأنا الأعلى

الفترة الأولى:	الفترة الثانية: العهد الاستعماري	
أفكار شعراء العهد العثماني	الفئة الأولى: أفكار الشعراء المخضرمين	الفئة الثانية: أفكار شعراء عهد الاحتلال
- الافتخار بالنسب الشريف، والانتساب إلى المتّبعين للأقطاب الصوفية والأولياء الصالحين - الافتخار بصفة الشاعر المادح للنبي - الافتخار بالانتساب إلى سلالة النبي الكريم - الافتخار بالانتساب إلى نسل الأشراف والأقطاب الصوفية - التعجّب من تقلّب الموازين الاجتماعية - الاعتزاز بالأهل الفرسان المجاهدين - الافتخار بصفة المجاهد - التأسّف على ارتكاب الذنوب والآثام - العمل يسبق النسب	- رفض تغيّر الأحوال الاجتماعية وانحطاط مكانة الأعيان - دخول العامل الديني كمقياس للحكم على صفة الشجاعة، جهاد الكفار، والانتماء الحضاري - المجتمع مبني على الفكرة الدينية، فالتراتبية الاجتماعية متوافقة مع التركيبة الدينية التي تعطي الشرعية الاجتماعية - الافتخار بالانتساب إلى سلالة الأشراف - حب المحبين لله ولرسوله تضحية لله وللوطن - إعلان التبعية لأهل التوبة - التعجّب من تبدّل التراتبية الاجتماعية - التعلّق والتمسّك بالأهل والوطن - الافتخار بجهاد الكفار - الشهرة بصفة الشاعر عند القبائل العربية	- الرفض الكامل للتحوّل القيمي والأخلاقي، والتمسّك بخصال وأخلاق، وقيم المجتمع الإسلامي - الاعتزاز بالانتماء الفعلي، والعاطفي إلى أمّة محمد –صلى الله عليه وسلم- - الافتخار بالخصال الحميدة - الافتخار بالنسب الشريف الموصول إلى النبي- صلى الله عليه وسلم- - الافتخار باتباع الخاصة من الناس واعتزال الهُمّل - الاعتزاز بالموطن الأصلي الموصوف بالعلم والجهاد، والتأليف الشعري - التعجّب من أخلاق الناس

في قراءة عابرة لهذا الجدول التحصيلي نلاحظ ما يلي:

- بالنسبة لشعراء العهد العثماني لاحظنا الافتخار بالنسب الشريف، بالانتماء أو الانتساب إلى الصوفية والحركة الصوفية، وبالجهاد في سبيل الله. والتأكيد على أنّ الاتباع العملي لهذه الانتماءات الدينية هو معيار الحكم.

- لاحظنا بالنسبة للمخضرمين دخول العامل الدنيوي مع وجود العامل الديني حيث أكّد الشعراء هنا على أنّ الاجتماعي مبني على الفكرة الدينية فالتراتبية الاجتماعية تحدّدها معايير دينية.

- أمّا شعراء الفترة الاحتلالية فأهم ملاحظة هي افتخارهم بالخاصة (من أهل الزوايا والتصوّف)، وبالجانب المتمسّك بالخلقي زمن التغيّر القيمي.

12- 4- السلوكات الدينية:

12-4-1- الفترة الأولى: العهد العثماني: الشيء الأكثر بروزا في هذه النقطة لدى شعراء العهد العثماني هو حضور الفكرة التصوّفية. فهي موجودة في النشاطات السلوكية، وفي الاعتقادات الفكرية، فهذه نشاطات التبرّك بالأولياء الصالحين، وزيارة أضرحتهم، وهذه اعتقادات استجابة الدعاء توسّلا بالأقطاب الصوفية. هذا بالإضافة إلى حديث شعرائنا عن الخمريات، وعن الافتخار بالانتساب إلى الصوفية.

كما لاحظنا إضافة إلى التصوّف الصرف، والإعلان الصريح عن الانتماء إلى المتصوّفة سلوكات دينية أخرى متعلّقة بتأليف الشعر المدحي للنبي – صلى الله عليه وسلّم- الذي يمنح الحظوة، والعلم الديني الذي يعطي مكانة اجتماعية وتاريخية للأفراد والجماعات.

1. زيارة الولي الصالح، التبرّك به، وطلب المكانة الاجتماعية

استوعظ في طلبته وشكى *** ومشى لحرم الثعالبي ودخل

لوكان غير رآك تكابر *** وتجوز باسم الأولياء (الأخضر بن خلوف)

2. التذكير بمكانة الأولياء الصالحين

عند سيد القلعي تم تصيب سادات *** سي ابراهم قل له مرسول ليك جيت (بن تريكي)

والمغيث شعيب أبو مدين استنار *** به زالت أوهام الشك والظنون (بن مسايب)

3. الحديث عن الخمريات، والافتخار بها (العقل يتخمّر بحب الصالحين)

عملت له ليلة بزهو وفرجة *** والخمرة في الكاس ممزوجة

ابلغت قصدي قضيت حاجة *** عني جاد برضاه.

أزهى روضي به لاقح *** تم براتلي القرايح

سبحانه الكريم يسامح *** من يعشق لملاح. (المنداسي)

4. الطلب من عبد القادر الجيلاني قطب المتصوّفة الأوّل بتحقيق أمانيه

نطلب لعرج قطب الصالحين *** سيدي لا كيفه سيد (قادة بن السويكت)

5. إهداء الجبّة بعد التوبة

أحمد جاب ذا الغنا واساه أركاب *** كل شراب للعفو يعمل صعبة

وإذا تاب، للمليح يهدي الجبّة (أحمد بن تريكي)

6. تأليف القصيد النبوي لإعلان الانتماء الحضاري، والافتخار بذلك

مداح النبي بلقاسم *** يا الله ترحم لخضر ما ينساك (بن خلوف)

ليه نظامي وأذواقي *** ذا الحلة بصلاته للي يعشقه

محمد نور أرماقي *** صلى الله عليه قدر ما شرقوا (بن مسايب)

مداح رسول الله يا حافظ النظام *** لا تظنوا مداح النبي ارخيص (العربي بن حمادي)

7. العلم الديني يمنح مكانة اجتماعية

لو يقرا سيدي خليل *** في الدنيا ما يلوا وقر (بومدين بن سهلة)

الشاعر هنا لم يذكر هذا إلّا لأنّه يعلم أنّ العلم يمنح مكانة اجتماعية، وبالتالي لمّا تغيّر الوضع حسبه انتقده.

12-4-2- الفترة الثانية: عهد الاحتلال

الفئة الأولى: الشعراء المخضرمون: يظهر على الشعراء المخضرمين جليّاً في قضيّة السلوكات الدينية جانبهم التصوّفي أكثر من شعراء العهد العثماني، حيث لاحظنا شدّة تمسّكهم، ومعهم المجتمع الذي ينتمون إليه بالمتصوّفة إلى درجة أنّ عدم اتباع سيرتهم هو انتقاص من شخصية الفرد، كما أنّ لهؤلاء المتصوّفة بركة معتقدة من الناس خاصة أولئك الذين لهم قبّة مزارة، وهي رمز الاتّباع. يضاف إلى هذا ظهور بعض الأفكار- وإن كانت رمزية- حول الوصول الروحاني، وتمازج الأرواح الطيّبة فيحضر مثلا علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- مع عبد القادر الجيلاني ليحاربوا الكفار مع المسلمين.

وإضافة إلى هذا الجانب التصوّفي لازم الشعراء المخضرمين شعورهم بالوفاء والتمسّك باتّباع النبي- صلى الله عليه وسلّم- زمن تسلّط الكفار على البلاد. وقرائتنا لهذه المعطيات تقول أنّ القضيّة هنا نوع من التحوّل في ثقافة الجزائريين في علاقتهم بالصوفية، حيث أنّ الأمر تحوّل من تعاطف وتماسك طبيعي لا يعاقب مخالفه، إلى علاقة واجبة اجتماعيا في زمن أصبح الجهاد ضد الكفار واجب شرعي وتاريخي حملت شعاره الطرق الصوفية دون غيرها، ولهذا أصبح اتّباعها، واتّباع مناهجها مهمّة في هذه المرحلة التاريخية.

1. عدم اتباع الشيخ الصوفي انتقاص من شخصية الفرد

ما بيّاش الحبس بيّا العيب والعار *** يقولوا هذا بشيخه، واسمح فيه (محمد بلخير)

2. اتباع الأولياء مسلك النجاة

يا اللي تحب والي تريد مجمع شملك *** ويدير لك مولاك فالمضيق سلوك (الطاهر بن حواء)

3. اتباع المتصوّف (الأمير عبد القادر) المتّبع لطريقة الغوث أبي مدين شعيب، والقطب عبد القادر الجيلاني هو اتباع للنبي الكريم – صلى الله عليه وسلّم-

بالوفق جمع الجمع للرفيع مقامك *** القطب والغوث لمزاده دفعوك

هانوا أعمارهم في رضى النبي ورضاتك *** الله حبهم والرسول كي حبوك (الطاهر بن حواء)

4. للمتصوّفة والأقطاب الصوفية بركة معتقدة عند الناس، ولطلاب زواياهم مكانة اجتماعية مرموقة

نحلف لك بالطلبة اللي يقراو الكتاب المنزول *** ما عندي في الناس غير عدّة والصحراوي

بركة الأقطاب الواصلين والبودالي جلول *** صدري مع الزين ذنوب عشق الطالب عذراوي (محمد بلخير)

5. زيارة الولي الصالح يوم الجمعة

ألقيت أنايا خوذات *** يوم الجمعة خرجوا زايرات الوالي (مصطفى بن براهيم)

6. الدعوة الرمزية للقضاء على الكفار إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- المعروف بشجاعته، وقيادته لجيوش المسلمين، وإلى قطب الأولياء عبد القادر الجيلاني

يا بو الحسنين راعي السرحان *** اركب، وسل سيف القدرة

يا بوعلام راعي الحمراء *** فزع الجنود من الأولياء (محمد بن إسماعيل)

7. الوفاء في اتباع النبي الكريم- صلى الله عليه وسلّم-، والتمسّك بحبّه زمن تسلّط الكفار على البلاد

يا سلطان الملاح غيرك ما نعشق *** شبهك في ذا الزمان يا روحي مفقود (محمد بن الشاهد)

نوصي على صلاة احمد لا تنساها *** تفك من القصايص، ونصب الموازين

يا خالق العباد نتوسّل بطه *** رب وجيب ليها سلطان حنين (عبد القادر الوهراني)

8. الهروب من واقع الفتنة الاستعمارية بالتقوقع على موضوع المديح النبوي

يا محمد ليك يهرب الخلق ناسق *** في اليوم المعلوم حق بلا خلافي

أنا في الدنيا هربت ليك يا الصادق *** كثروا طلابي، وبرت بردوا اكتافي (الطاهر بن حواء)

9. الجهاد إلى جانب أمير المؤمنين في سبيل نصرة الدين الإسلامي واجب مقدّس

أنصر علام عبدك أمير المؤمنين *** عبد المجيد ناصر الدين المختار

قاموا جنود الإسلام معه امسبلين في نصر دين ربي تفنى الأعمار (محمد بن إسماعيل)

الفئة الثانية: شعراء عهد الاحتلال: وأخيرا فيما تعلّق بالسلوكات الدينية لفئة شعراء الاحتلال نلاحظ عليهم بالإضافة إلى الجانب التصوّفي الذي يشتركون فيه مع الشعراء المخضرمين حديثهم عن ظهور مواصفات جديدة متعلّقة بالمواقف والسلوكات اليومية: هذه المواقف تخص تخلّي الناس عن بعض السلوكات الدينية، كتأدية الصلاة في الوقت، ونسيان الأولياء الصالحين رموز الانتماء الحضاري زمن الفتنة (سيطرة الكفار على البلاد)، كما تخص هذه المواقف، والسلوكات ظهور سلوكات منافية للدين كشرب الخمر الذي انتشر حتى عند من ينتسبون إلى النسب الشريف. ولمّا نتحدّث عن الظهور والانتشار لا نقصد به تعميمه على المجتمع، بل نقصد به تأثّر الثقافة المحلّية بمخالطة الثقافة الغربية المسيطرة على الوضع العام للبلاد بظهور بعض المواصفات التي لم تكن موجودة في السابق. وعلى الرغم من ذلك بقيت السلوكات الدينية على مظاهرها المعروفة، بل زادت حدّة التعلّق برموز التصوّف لدرجة تسمية الأماكن باسم أوليائها، ضف إلى ذلك التمسّك بكل ما

هوديني، خاصة رموز الانتماء الحضاري كالبقاع المقدّسة، وشخصية النبي الكريم – صلى الله عليه وسلّم-

1. التنكّر على الناس عدم القيام بسلوكاتهم الدينية المفروضة

انتسات الاوقات الخمسة *** وذكر سيد البشر (قويدر بن إسماعيل)

2. السُكر كحالة سلوكية منتشرة حتى عند بعض من ينتسبون إلى النسب الشريف، أو المتصوّفة الطرقية، وطلبتهم

ما اهدات ترابة *** ولا أشراف النسب

مرابطين وطلبة *** أصحاب سلك الذهب (عبد القادر الخالدي)

3. الإعلان بعدم معرفة الناس للنبي –صلى الله عليه وسلّم- وسيرته، وقيمته، ومكانته في الدنيا قبل الآخرة

لوكان تعّرفك ذا الأمّة *** تفني زمانها في ذكرك

هذا المديح ليك أحرازا *** نرجوا يكون لي مسلك (أحمد بن مصطفى العلاوي)

4. التعجّب من نسيان الأولياء الصالحين رموز المدينة، والانتماء الحضاري زمن فتنة سيطرة الكفار على البلد

وين سيدي عبد الرحمان *** صد عنها سافر

وين الولي بن مخلوف *** وين بايزيد المذكور

وين لضرع بوعبسة *** وين سيدي السعدي (قويدر بن إسماعيل)

5. التحسّر على فقدان أهل الله من المتديّنين والمتصوّفة

ناس الغرام راحويا ديني تركوا ذا الدنيا *** عاشروا تراب المنية *** في الأرض السفلية ***

وبقيت بعدهم انغرّد مثل الحمام وحده (قدور بن عاشور)

6. انتهاج سلوك الطرقية بالسقاية الخمرية في الليل (التعلّم الطرقي بلغة المتصوّفة)، وقراءة سورة الفلق عند الفجر

كب الراح يا الساقي في زجاج الرايق *** وعند الشفق أتلوا رب الفلق (قدور بن عاشور)

7. رفض الاستشفاء على يد الكافر النصراني

داواوهم كفار *** شمّت بهم ذا النصراني (محمد بن قيطون)

8. التمسّك بالاستيقاظ عند الفجر لآداء الصلاة، والناس نيام

في صلاة الصبح كن يا ولدي يقظاني (قدور بن عاشور)

9. طلبة العلم الديني، وزوار مقامات الأقطاب الصوفية، وجميع من ينتسب إليهم لهم مكانة اجتماعية مرموقة

أنا قصدي فيك لمقام المختار *** بلّغ ما نوصيك للّي تغدالوا

سال على الطلبة والأخوان الزيار *** وجميع المنسوب ليه وعمالوا (أحمد السماتي)

10. الافتخار بالعلم الديني بالمفهوم الطرقي-الصوفي، والاعتقاد أنّ ذلك هبة من الله

أعطاني ربي سؤالي *** كافاني مولى الهدية

هداني ثم هدى لي *** حلّة منه مرضيّة (أحمد بن مصطفى العلاوي)

11. الصلاة على النبي تكسب قائلها الغنى، والمكانة الاجتماعية

كل من صلى على النبي إمام لرسال *** يفوز بها وينال من الكريم يغنيه (اقويدر بن إسماعيل)

12. الشوق لزيارة قبر النبي الكريم –صلى الله عليه وسلّم-، وبيت الله المشرّفة

يا من درى نشوف الهادي *** سيد العباد بوفاطمة

نمشي نزور قبر حبيبك *** وانشوف بيتك المفروضة (قويدر بن إسماعيل)

13. الإيمان بالرؤيا في الأحلام، وبتفسيراتها الواقعية

أنت شفت ذا المنام وفسّرتيه *** وعلمت بالجاية قلتهالي (عبد الله بن كريو)

جدول رقم (4): الجدول التحليلي الخاص بالسلوكات الدينية:

الفترة الأولى: أفكار شعراء العهد العثماني	الفترة الثانية: العهد الاستعماري	
	الفئة الأولى: أفكار الشعراء المخضرمين	الفئة الثانية: أفكار شعراء عهد الاحتلال
- حضور الفكرة التصوّفية في سلوكيات الجزائريين، كما توجد نشاطات ثقافية أخرى كتأليف الشعر المدحي - زيارة الولي الصالح والتبرّك به - التذكير بمكانة الأولياء الصالحين - الحديث عن الخمريات - الاستغاثة بغير الله (الطلب من عبد القادر الجيلاني بتحقيق الأماني) - تأليف القصيد النبوي لإعلان الانتماء الحضاري - العلم الديني يمنح مكانة اجتماعية	- التركيز على الانتماء إلى المتصوّفة والتعلّق بتركتهم الثقافية والاجتماعية لدرجة أنّ السماح فيهم انتقاص من شخصية الفرد - التمسّك بالدين الإسلامي - عدم اتباع الشيخ الصوفي انتقاص من شخصية الفرد - اتباع الأولياء مسلك النجاة - اتباع المتصوّف (الأمير عبد القادر) والمتصوّفة هو اتباع للنبي – صلى الله عليه وسلّم- - للمتصوّفة والأقطاب الصوفية بركة معتقدة - زيارة الولي الصالح يوم الجمعة - الوفاء في اتباع النبي- صلى الله عليه وسلّم- والتمسّك بحبّه زمن تسلّط الكفار	-التمسّك بالفكرة التصوّفية -تخلّي الناس عن بعض السلوكات الدينية -ظهور سلوكيات منافية للدين كشرب الخمر -التنكّر على الناس عدم القيام بسلوكاتهم الدينية المفروضة -السكر كحالة سلوكية منتشرة حتى عند بعض من ينتسبون إلى النسب الشريف -الناس أصبحوا لا يعرفون النبي- صلى الله عليه وسلّم- وسيرته، ومكانته في الدنيا والآخرة - التعجّب من نسيان الأولياء الصالحين رموز المدينة والانتماء الحضاري - التحسّر على فقدان أهل الله من المتديّنين والمتصوّفة - رفض الاستشفاء على يد الكافر النصراني

	- الهروب من واقع الفتنة الاستعمارية بالتقوقع على موضوع المديح النبوي - الجهاد إلى جانب خليفة المؤمنين واجب مقدّس	- التمسّك بالاستيقاظ عند الفجر لأداء الصلاة - الافتخار بالعلم الديني - الصلاة على النبي تكسب قائلها الغنى.

من خلال هذا الجدول التحصيلي نلاحظ:

- عند شعراء العهد العثماني العمل الديني يمنح مكانة اجتماعية، والعلم الديني هو الطريق إلى ذلك، لكنّه علم باطني يختص بالفكرة الصوفية الطرقية.

- عند المخضرمين التأكيد على وجوب اتباع رجل الدين الحامل للفكرة الدينية، والإصرار على فكرة أن عدم اتباع المتصوّفة منقصة اجتماعية وأخلاقية.

- عند شعراء الفترة الاحتلالية ظهور السلوكات المنافية للعرف الإسلامي، مع ظهور عبارات الحسرة على فقدان رجال الدين وتغييبهم عن حياة الجزائريين.

13- نتائج الدراسة:

- نص الفرضية الأولى: الشعراء الشعبيون الذين عايشوا الفترة الاستعمارية أكثر تمسّكا بالانتماء الاجتماعي (القبلي أو الجغرافي) من شعراء العهد العثماني.

أظهر التحليل الشخصياتي أمورا عديدة تثبت صحة الفرضية التي افترضناها، إذ إضافة إلى الموضوعات التي تثبت حركة التحلزن على الذات، يظهر التحليل الشخصياتي أنّه في موضوع أنساق الأمن تحوّل اتجاه شعرائنا من الفكرة الدينية إلى الفكرة الاجتماعية فأصبح الأمن في كنف الأهل والعشيرة والقبيلة. كما أنّ الضامن لهذا الأمن هو التمسّك بالأصل، وبابن البلد، لأنّ الغريب يظل غريبا مهما طال الزمن ويأتي يوم يذهب فيه. كما أكّد شعراء العهد الاحتلالي أنّ الجماعة والقبيلة هي حصن الفرد من المآسي الاجتماعية، وأنّ ترحال القبيلة وهجرتها لموطنها الأصلي طامة كبرى. وكل هذه الأمور تدلّ على صحّة الفرضية الثالثة.

- نص الفرضية الثانية: الشعراء الشعبيون الذين عايشوا الفترة الاستعمارية أكثر حرصا على المسألة الدينية، والانتماء الطرقي-الصوفي من شعراء العهد العثماني.

تظهر نتائج التحليل الشخصياتي فيما يخص تقنيات التفكير أنّ شعراء الفترة العثمانية ركّزوا على الفكرة الدينية كطريقة للحكم على الواقع، وتقنين السلوكات الواجب القيام بها، كما ركّزوا عليها كطريقة للتفكير ورؤية الحياة. بينما ركّز شعراء عهد الاحتلال على الجانب الأخلاقي الخاص بالمعاشرة والهجر، فلا تجب مخالطة الفاسدين، ولا يجب الابتعاد عن رجال الدين. وهذا ما يعني أنّ التديّن عند شعراء العهد العثماني مرتبط بالفكرة الدينية، بينما عند شعراء العهد الاحتلالي فهو مربوط برجال الدين والولي الصالح. وأمّا ما تعلّق بأنساق الأمن في التحليل الشخصياتي فإنّ شعراء

العهد العثماني تقوقعوا على الذات وأكّدوا على التفسير الديني، في حين أنّ شعراء عهد الاحتلال ركّزوا على السلوكات الدينية المُنْجِية (كإنشاء القصائد الشعرية الممتدحة للنبي، وللمتصوّفة، ورجال الدين عامة، إضافة إلى اعتزال الناس) على طريقة المتصوّفة والطرقية. في حين أنّ موضوع السلوكات الدينية أظهرت بوضوح هذا المنحى التصوّفي-الطرقي الذي أخذته قصائد شعراء العهد الاحتلالي، فإذا كانت الفكرة التصوّفية موجودة في سلوكات الجزائريين عند شعراء العهد العثماني، فإنّها العنوان الوحيد تقريبا عند شعراء العهد الاحتلالي خاصة، فهذه الصلاة على النبي التي تكسب صاحبها الغنى، وهذا التمسّك بالاستيقاظ عند الفجر، وهذا رفض الاستشفاء على يد الكافر النصراني لأنّ ذلك لا يجلب الشفاء بل السقم الروحي، وهذا التأكيد على أنّ رموز المدن والأماكن الجزائرية المختلفة هم أولياؤها الصالحون.

- لاحظنا في كلام الشعراء المخضرمين بغضا كبيرا للإنسان الغربي الكافر، وهوما يؤكّد أنّ الأمر في بداية الاحتلال كان فيما يخص محصّلات التثاقف النوع الثالث الذي تحدّثنا عنه في الجانب النظري ألا وهوردّة الفعل. كما يمكننا في هذا الصدد الحديث عن التثاقف المادي كما ذكره روجي باستيد (Roger BASTIDE (BASTIDE,1971,p-p 22-24، إذ يظهر التحليل الثقافي وجود تحوّلات ثقافية تمثّلت في سلوكات جديدة للمرأة كخروجها للأسواق دون لباسها التقليدي الساتر، لكن ذلك لم يكن عنوانا على تغيّر مكانة المرأة. ولقد ظهر تبعا لذلك في كلام شعرائنا عبارات العتاب الأخلاقي للمرأة، وهو الذي لم يكن موجودا عند شعراء العهد العثماني. ضف إلى ذلك ظهور سلوكات منافية للقيم الإسلامية كشرب الخمر مثلا. وهذا كله يضاف إلى الأشكال والنماذج الثقافية والسياسية الجديدة التي ظهرت في الجزائر على الطريقة الغربية كالجمعيات الثقافية، والأحزاب السياسية. لكن التحليل الثقافي يظهر تماما أنّ هذه التحوّلات الثقافية لم تكن جوهرية، فمكانة المرأة لم تتغيّر رغم الاختلافات السلوكية، والموقف من رجل الثقافة الأخرى بقي كما هو، والمعالم الاجتماعية والفكرية لم يحدث فيها إلّا تحوّلات طفيفة.

- تظهر التحاليل الخاصة بالانا الأعلى أنّ الافتخار والاعتزاز لا يكون أبدا بقيم أو سلوكات التميّز والحريّة أو الخروج عن العادي، بل على العكس الأمر دائما يتعلّق بما تحبّذه الجماعة كالخلق النابع من الخصال الإسلامية الحميدة، أو النسب الشريف.

- تعد فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر فترة تراخي المراقبة الاجتماعية وتراجع التقليد نتيجة تحطيم البنى والمؤسّسات التقليدية بالإضافة الى تحطيم القبيلة، ويمكن القول في هذه النقطة أنّ بعض الخصوصيات الثقافية المعبّرة عن تراجع الرقابة الاجتماعية وجدناها عند فئة شعراء العهد الاستعماري (سواء المخضرمين منهم، أم شعراء العهد الاحتلالي) ظهر ذلك في كلام شعرائنا وعتابهم

الأخلاقي للمرأة، وحديثهم عن ظهور السلوكات المنافية للقيم الإسلامية كالاستهزاء بالصلاة، وشرب الخمر. ويمكن تفسير ذلك بالمشروع الاستعماري في المجال الثقافي والاجتماعي بتحطيم المؤسّسات الثقافية التقليدية، وسن القوانين المعارضة للتنظيم السياسي التقليدي للمجتمع الجزائري المبني على سلطة القبيلة.

- الخاتمة:

في الختام نذكّر أنّ المقام هنا لا يسمح بالحديث عن كل ما تعلّق بموضوع التحليل الثقافي المقارن بين الفترة العثمانية وفترة الاحتلال الفرنسي من تاريخ الجزائر، فالموضوع لا يحتاج فقط إلى مقال أو اثنين بل يتطلّب مشروع وطني كبير يشمل عديد التخصصات وعديد الأطروحات، وهذا بغرض وضع سياسة ثقافية وطنية تضع الثقافة الشعبية والشعر الشعبي في خانة التراث الواجب استغلاله وتلقينه للأجيال اللاحقة في المدارس، وهذا طبعا بعد دراسته دراسة علمية بعيدة عن العاطفة وبعيدة عن النظرة الاحتكارية التي لا ترى فيه إلّا كلام شعراء لا يتبعهم إلا الغاوون.

قائمة المصادروالمراجع:

- بونار، رابح .(1976). ديوان سعيد بن عبد الله التلمساني المنداسي. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- جعلوك، عبد الرزاق(2001) . ديوان سيدي الأخضر بن خلوف. تلمسان: دار ابن خلدون للنشر.
- دحو، العربي. (2011). معجم شعراء الشعبي في الجزائر من القرن 16 إلى أواخر العقد الأوّل من القرن 21. قسنطينة: الألمعية للنشر والتوزيع.
- زريوح، عبد الحق. (2001). ديوان أحمد بن تريكي. تلمسان: ابن خلدون للنشر والتوزيع.
- سونك. (1994). الديوان المغرّب في أقوال عرب إفريقية والمغرب. الجزائر: المؤسّسة الوطنية للفنون المطبعية.
- عماد، عبد الغني. (2008). سوسيولوجيا الثقافة: المفاهيم والإشكاليات...من الحداثة إلى العولمة. ط2. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- عميمور، عبد الكريم. (2008). ديوان الطبعة الأولى. الجزائر: مطبوعات المهرجان الوطني لأغنية الشعبي.
- غيرتز، كليفورد. (2009). تأويل الثقافات، تر: محمد بدوي. ط1. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- مرتاض، عبد الملك. (1987). عناصر التراث الشعبي في اللاز. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.
- مفلاح، محمد. (2008). شعراء الملحون بمنطقة غليزان: من العهد العثماني إلى غاية القرن العشرين (تراجم ونصوص). الجزائر: دار هومة.
- مفلاح، محمد. (2009). أعلام من منطقة غليزان: أعلام التصوّف، شعراء ملحون بمنطقة غليزان. الجزائر: دار المعرفة.
- ومان، توفيق. (2007). الشيخ التلمساني بومدين بن سهلة. الجزائر: الرابطة الوطنية للأدب الشعبي.
- ومان، توفيق. (2007). الشيخ قدور بن عاشور الزرهوني. الجزائر: الرابطة الوطنية للأدب الشعبي.
- ومان، توفيق. (2007). محمد بن قيطون. الجزائر: الرابطة الوطنية للأدب الشعبي.
-عميمور، عبد الكريم. (2009). ديوان 2009.الجزائر: مطبوعات المهرجان الوطني لأغنية الشعبي.
-عميمور، عبد الكريم. (2010). ديوان 2010.الجزائر: مطبوعات المهرجان الوطني لأغنية الشعبي.
-مرتاض، عبد الملك. (2003). أدب المقاومة الوطنية في الجزائر 1830-1962.الجزائر: مطبعة دار هومة.

- BASTIDE(Roger). Anthropologie appliquée. Paris : ed. Payot,1971.
- BOUDON(Raymond) et BESNARD(Philipe). Dictionnaire de la sociologie. Paris : ed : larousse bordas,1999
- KLINEBERG(Otto). Psychologie sociale. Paris : puf, deuxième édition, tome2,1968
- MEAD(Margaret). Le fossé des générations. Paris : de noël-gauthier,1979.
- MEGHERBI(Abdelghani). Culture et personnalité algérienne de massinissa à nos jours. Alger : enal-opu,1986
- SAPIR(Edward). Anthropologie. Paris : ed. De minuit,1967